

رحلة إلى شاطئ البحر

ترجمة: محمود فلاحه

بقلم: ف. س. برتشيت

بعد أن أوصلت شقيقتها الى مقربة من الفندق انطلقت سارة به ، بالمستر أندروز كما كانت عن عمد تدعوه ، الى المحطة في الجانب البحري من المدينة . كان الصمت يلفهما ، خرج من السيارة ، وقال ببرود : « شكرا لك . . . ودائماً . » ولكنها خرجت هي أيضا ، وقالت : « آه ! لا ، اني قادمة معك حتى الرصيف ، كي أراك وأنت تصعد الى القطار » . نظر الى ساعة يده ، يالله ! كان عليه أن يحتملها سبع

(*) السير فيكتور سouden برتشيت Sir Victor Sawden Pritchette

كاتب وناقد بريطاني ، ولد سنة ١٩٠٠ في بلدة أبسونث بمقاطعة سافولك ، وتلقى دراسته العالية في مدرسة السين .

شغل مناصب أكاديمية عديدة ، وألقى محاضرات في أربع جامعات أمريكية منها جامعة براندايز ، كما درّس في عدد من الجامعات البريطانية ومنها جامعة كيبيريدج . وشغل رئاسة تحرير مجلة نيوسيتسمان بضع سنوات .

له عشرات الكتب ، تتضمن مجموعات قصصية ، ودراسات أدبية وتقنية متنوعة ومنها : العذراء الإسبانية ، لاثي كالجند ، ربما لن تحدث ، مفتاح قلبي ، وجوه غريبة . ومن آخر ما كتب دراسة عن الكاتب الروسي تورغنيف نشرها سنة ١٩٧٧ . وقد نشر قصته هذه ، التي نقدمها ، في صحيفة التايمز اللندنية ، ٢٣ أيار ١٩٨١ . (المترجم)

دقائق أخرى • وقفت بمحاذاته ، تكاد أن تلتصق به ، دون أن تود تركه حتى قدوم قطار لندن • وحتى حين اعتذر ، كي يهرب منها ، واتجه الى باب دورة المياه الذي كُتب عليه « رجال » ، سارت معه ووقفت حذرة تترقب أمام الباب •

وحين خرج ، ووصل القطار أخيراً هرعت اليه ، وكانت على وشك أن تدفعه الى أقرب مقصورة في القطار ، وتغلق الباب دونه لولا أن ركاباً آخرين كانوا يتجمعون وراءه • ومع ذلك لم تتحرك ، بل أخذت عند الباب المفتوح تتمتم ببعض العبارات القصيرة ، قالت « نحن لانريدك هنا لتفسد حياتها ثانية » ، و « تدوس على مشاعرها » •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لم ينبس أندروز ببنت شفة ، بل جلس في مقعده الركني محمر الوجه حمرة حجر أبردين الغرانيتي ، ينظر أمامه ، متجاهلاً أياها ، وذقنه مرفوعة وأنفه شامخ بكرامته • كانت هي امرأة قصيرة حادة ، ذات شعر رمادي جاف ، وفي مثل سنه • وقبيل أن يفلق الحمال الباب ، ويهتز القطار هزة الانطلاق صرخت بأعلى صوتها : « آمل ألا نراك ، أبداً ، ثانية هنا » •

ورفع بعض المسافرين صحفهم الى أمام أعينهم بعد أن رمقوه بنظرة على حين حدّق بعضهم الآخر به • وفي الدقائق الخمس الاولى ، وبينما كان القطار يزيد من سرعته ، جلس هو ساكناً دون أن يغير من تعابير وجهه ، ثم وقف وغادر المقصورة وهو يلقي بنظرة احتقار

على كل من فيها • تفحص تذكرته واتجه نحو مقصورة فارغة في عربة الدرجة الاولى ، وجلس وحيدا ينظر بخواء نحو المباني والاشجار والحقول وهي تتراجع في غسق الربيع الرطب •

لقد وصل أندروز ، ذلك الصباح ، من لندن ، كي يقضي يوما أو ربما أسبوعاً اذا سارت الامور سيرا حسناً • والمرء لا يستطيع أن يحدد ذلك ، ولكنه سيتنسم هناك نشقة من هواء البحر كي ينظف رئتيه المليئتين بدخان لندن • وفكر وهو يخرج من المحطة بالسك ، وأن يتناول غداءه في فندق جورج الذي بدا له خير مكان ، وتخيل المحارات ، وسك صول دوفر ، وكأساً من النبيذ الأبيض الذي صبغ وجنتيه بذلك اللون الوردي •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم مضى ، بملايسه التي هي خير مما يرتديه الناس في عيد الفصح ، يتسكع متفحصاً ما يراه • كان أرمل في الستين من عمره ، أمضى حياته العملية في تجارة السجاد ، ففتنته وكأنها فال حسن • واثماً لمواهبه بوصفه بائعاً كانت صالة الفندق مفروشة بسجادة جديدة في لون الشوكولاته عليها رسمة كبيرة لزهرة الاقحوان • لقد كان سعيداً ، وفي مشيته الصامتة هذه كان رجلاً باتت الشوارع سجاجيد بالنسبة له ، وارتسمت على وجهه ابتسامة محسن عام يحمل في جيبه مفاجأة هادئة : فقد كان يبحث عن زوجة •

وتطلع الى بيت أو اثنين معروضين للبيع ، اذ أراد أيضاً بيتاً الى

• جانب البحر • ولكن الاسعار كانت مرتفعة جدا ، فتبخر حلمه هذا • استدار الى عنوان الانسة لويزا برودر التي كانت سكرتيرته طوال سنوات قبل أن تتوقف ، فجأة ، أعماله • وحين صعد الى القطار كان قد ظن أنها احتمال ، ان لم تكن عدم وجود الافضل •



ان الاتصال هاتفياً بالآنسة لويزا برودر يتطلب أعصاباً قوية ، لانها تركت مكتبه منذ خمس سنوات عقب مشادة وشجار ، الا أنه لم يكن من الناس الذين يابيهون كثيراً لأخطاء الماضي ولما فيه من صواب • فقد عرف المشكلة التي بدأت في معرض تجاري في مدينة برايتون Brighton وهي منتجع أكبر من هذا المنتجع ، وعللها بسن لويز أو بوفاة والدتها ، فهذه الامور العائلية ، مثل تنكيد شقيقتها الغيور التي لم تكن لها قط أية مودة ، تكدر حياة وتنغصصها وتجعلها ، كما اعتادت زوجته ديزي أن تفعل ، تصب جام غضبها على الآخرين • وبطريقتها الغيورة والحسودة ، والغيرة هي خطيئتها الوحيدة ، ربما كانت ستصرخ : « لويزا امرأة ، لاتنس ذلك » ومع ذلك ، كثيراً مامكت لويزا في بيتهما في العطلات الاسبوعية ، بوصفها صديقة ، تقريباً ، للأسرة •

وأصابته صدمة شديدة حين لم تبعث اليه بكتاب تعزية حين توفيت

زوجته ، فبعث اليها باعلان وفاة ديزي في الصحف تأنيباً دون أن يرفقه بأي تعليق منه . ولكنها لم ترد لفترة طويلة ، ثم وصلت اليه منها رسالة قصيرة موقعة توقيعاً رسمياً باسم لويزا برودر ، وقالت فيها انها أسفت لقراءة النبأ السيء ، وأن ديزي كانت « زوجة وفية ، وأماً رائعة لأبنائها » .

ان هذه الملاحظة القصيرة الجافة يمكن ، بالطبع أن تدعى ردا اذا ريد اعتبارها كذلك ، ولكن ما صدمه أكثر من أي شيء آخر هو سبب تأخر ردّها ، فقد انتقلت من لندن ، وأتت لتعيش في هذه البلدة في بيت على شاطئ البحر . ودل العنوان الجديد على ماأصابها من تحول : فهي تعيش حياة جديدة في بيت جميل يطل على البحر . وأخذ يردد هذه العبارات وكأنها كلمات أغنية شائعة في هذه الأيام .

لم يخبر أندروز لويزا أنه قادم ، فالمفاجأة أساسية في التعامل مع النساء . . . مرّ بصف المنازل الهادئة على المرتفع أمام شاطئ البحر ، وخاب فآله حين وجد نفسه أمام مسكن صغير وضع لايطل على البحر ، علقت على احدى نوافذه بطاقة تحمل كلمة توحى بالحطة كُتِب عليها : « يوجد غرف خالية » . آه ، لقد تراجعت وانحدرت . وكان في مرآب الى جانب المكان سيارة بيضاء قديمة ، وتنطلق من الغرفة الامامية ، حين قرع جرس الباب ، أصوات موسيقى خافتة تنبعث من جهاز تسجيل . لم يتلق أي جواب ، فقرع الجرس ثانية . وحين فتح

الباب طفت الموسيقى على صوته ، فرفعه حين تكلم الى شاب أصهب الشعر ، يحمل بيده كتاباً ، بدا شعره وكأنه يتراقص مع الانغام .

قال الشاب : « ادخل » ، ثم صاح لمن في الطابق الاول : « سالي ، هنالك رجل عجوز يسأل عنك » ، وعاد الى الغرفة الامامية . فألقى أندروز نظرة خاطفة على منظر « البساط المشمع » الممدود على أرض القاعة . كان البيت باردا تفوح منه رائحة الدهان . واطلت سارة ، لا لويزا ، من أعلى الدرج وقالت : « الغرف مليئة » . ولكنها هبطت الدرج ، تفرك يديها ، نصف منكشة ، نصف مستعدة لخوض معركة وتذكر أندروز أن أفراد أسرة برودر جميعهم ينكمشون . أغلقت باب غرفة الجلوس ، وقالت ثانية : « لقد قلت : ليس عندنا أماكن » . ثم خطت الى الوراء وقالت وكأنها تبتلع كتلة كبيرة من الشك والارتياح : « السيد أندروز !! ماذا تريد ؟ »

فردّ أندروز ، وهو لا يزال يتخذ مظهر الرجل المحسن ، ولكن ذي العينين النفاذتين : « كنت أتمنى أن أرى لويزا ، حدث أن أتيت الى هنا لاداء بعض الاعمال ، ورأيت أن أمر هنا للحظات » .

قالت وهي تتفحصه : « لقد خرجت ، ثم ... واذا كان لي أن أسأل ، لمّ تريد أن تراها ؟ هل تنتظرك ؟ »

– « لا ، مفاجأة صغيرة ليس الا » ، متى ستعود ؟ لقد كتبت لي بلطف شديد حين توفيت ديزي – زوجتي ديزي كما تعلمين » .

فقالَت الأخت بحدّة : « أعلم ذلك ، فقد أرَتني الرِسالَة »
- « لم أعلم أنها انتقلت الى هنا »

قالَت : « أظن أنها تستطيع أن تنتقل اذا أرادت ذلك »

- « بلدة صغيرة ولطيفة فعلا . لقد كنت أبحث عن مكان لي ، انك
تبدِين بصحة جيدة ياسارة »

والحقيقة أنها لم تكن كذلك ، فقد بدت صفراء شاحبة . فقالت :
« مكان هنا ؟ لقد قلت لك أن لا مكان عندنا » . وبدت الآن هلوعة تماماً ،
فتفحصته من أعلى رأسه الى أخمص قدميه ، وقالت مترددة : « أتعني
أنك تبحث عن « منزل » هنا ؟ » . وفي تلك اللحظة رن جرس الهاتف
الموضوع على مائدة القاعة ، فقالت له : « تعال الى غرفة الطعام » .

ودفعته الى احدى الغرف وقالت له : « ابقَ هنا » . وكانت للغرفة
نافذة على الطراز الفرنسي ، تطل على حديقة صغيرة مهملة ، فرأى
النباتات الربيعية متأخرة تلك السنة ، وقد لوت سيقانها الرياح
الشرقية .

وسمعها تجيب على التليفون ، ثم سمع صوت خطوات في الغرفة
العليا ، ثم وهي تهبط سريعة على الدرج ، وصوت لويزا .

فقال اندروز : « انها لاتزال كذوبة » .

كانت الغرفة صغيرة ، ذات أثاث هزيل من النوع الذي يباع في

تصفيات المواسم • فهناك مائدة لامعة من خشب السنديان ، عليها تمثال لعداء خائر القوى ، وبدت الكراسي المصفوفة حولها كالأيتام ، وخوان صغير عليه زجاجة من صلصة البندورة الحادة • وعلى رفا الموقد وضعت « مزهرية » ، فيها زهور اصطناعية ، وصورة فوتوغرافية لعجوزي أسرة برودر واقفين في حديقتهما مثل المتقاعدين المنهكين المعسرين ، فهذه أسرة فقيرة كانت لويزا تساعد ، وهي البنت الامهر والابرع بين الاضواء •

وكان هنالك كرسي قديم تعيس المنظر ذو ذراعين لايجرؤ أحد على القعود عليه • فتقبل أندروز أن يكون جد جريء وقعد ، وأخذ ينقر على الذراعين طوال فترة انتظاره ، وتوقفت المكالمات الهاتفية ، وسمع الآن صوت الاختين : كان صوت سارة يتسلل عبر الباب كما لو أن أحدا سيهمس ويناقش بصوت مخنوق ، على حين بدا صوت لويزا ، التي قالت قليلا على طريقتهما العملية ، دافئاً رغم وجود بعض السخرية فيه • وتذكر ، لقد كانت قليلة تحريك الشفتين حين تتكلم ، وحتى في لحظات ازعاجه واياها كان معجباً بالطريقة التي يملأ صوتها بها ، لفترة وجيزة ، مكتبه وحتى الشارع عندما يغادران المكان معاً وهي تردّد ، على طريقة العوانس ، حقائق شهيرة لاتنسى وطريقة • لقد كانت خلال سنوات عملها في مكتبه نحيفة ، ممشوقة القد ، مسترجلة نشطة ، وكان يدهشه دوماً قول زوجته الغيور عنها : « انها تعرف ماتطلب » •

وانفتح الباب ، ودخلت لويزا وهي ترتدي معطفاً رمادياً ثقيلاً وتحمل حقيبة يد كبيرة . وكان من مبادئ أندروز ، خاصة في تعامله مع النساء أن يبتسم ثم يبين على الفور لمن يخاطبه أنه كان على خطأ .

قال : « أخبرني سارة أنك في خارج المنزل ، فقد وصلت لتوي في زيارة غير متوقعة » . (وكأن هذه حق خاص له) .

فردت بطريقتها المصححة ، وعلى حد سواء ، ولكن بتكاسل كان جديداً عليه : « كنت أرتدي ملابس كي أخرج » قالت سارة أنك حضرت في عمل الى هنا » .

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com



ابتسم وقال : « لا ، ليس تماها » .

ثم صرّح لها ، وبكل رقة : « أتيت خصيصاً لأراك ، ولأشكر لك رسالتك » .

وما عدا الصوت الذي لم يتغير ، لم يستطع أندروز ، بل خشي ، أن يصدق أن هذه المرأة المتكاسلة هي لويزا التي عرفها معرفة وثيقة . فطول رحلته بالقطار الى بلدها بدت ، وكأنها تتقافز عبر أسيجة الحقول وتختفي في الاحراش ، امرأة طويلة نشطة ، ولم تكن في غالب الحالات أكثر من حاجبين وعينين كبيرتين مطيعتين . وكانت أثناء عملها في المكتب ، تخفض بمهارة كتفها لانه أقصر منها ، أما الان

وفي هذه الغرفة فبدت قصيرة ، كما بدا شكلها وجسمها أكثر جاذبية . وكانت يداها ، اللتان اعتادت أن تشبكهما معاً ، متباعدتين عن بعضهما ومسترخيتين ، وكان شعرها الاسود المرسل متموجاً ، وبدت الخصلتان البضاوان ، لتقدمها في السن وارتدائها نظارتين ، فوق أذنيها أنيقتين وشفاتها ثابتتين ، ولكن أسنانها لم تحظ بذلك الاعتناء القديم .

وتصبح حرة تماماً حين لم يكن فوق مكتبها أي شيء لتعمله وليس لديها أوراق لتسلمه اياها أو مكالمات هاتفية لترد عليها أو أشياء تذكره بها ، ولكنها طالما عملت حتى وقت متأخر في المكتب معه لأنها ، وهذا ما كان يعلمه ، كانت تبغض العودة الى منزلها . كانت مرحة ، ولكنها قلما ضحكت . لقد كرست حياتها للمكتب ، ولكن الخطوط العصبية التي سببها العمل فيه قد اختفت الآن ، وبدا وجهها متفتحاً مرتاحاً .

ومع ذلك ، وبعد أن تحدثا قليلا ، قالت بسخرية أستاذ المدرسة العجوز الذي لا يشعر بأي ضيق : « وهكذا ، فقد بت أرمل يامورتون . » Morton .

كانت تتحدث عنه وكأنه أحد الاصناف ، ومورتون هو اسمه الثاني ، وهي لم تستخدم قط اسمه الاول ، الفرد ، فهذا خاص بزوجته في البيت .

قال ، شبه متبجح « بهذه الحقيقة ، : « نعم ، أصبحت كذلك » .

فقالت : « يصعب أن تفقد شخصاً أحببته ، فأنا أعرف كيف شعرت أنا نفسي حين توفيت والدتي ، وقد تمننت تثميناً عالياً ما فقدت » .
ان هذا يلفت نظر المرء حين يفكر بشكاواها من أمها ، وأسخطه أنه كان عليه أن يقطب حاجبيه كي يشير الى امسك دموعه .

لقد نسي غيرة ديزي من لويزا وصمت لويزا تجاه ديزي ماعدا رسالة التعزية تلك ، ووجد نفسه فجأة يغوص في حكاية مرض ديزي الطويل وموتها ، وكيف أن شعرها بدا ، قبل وفاتها بأسبوع ، ذهبياً ثانياً كما لو أنها فتاة صغيرة ، وكيف أن لونها عاد اليها ، فتساقطت دموعه ، وانزلقت الى زاوية فمه .

وسأله لويزا : « ألا تزال تعيش في ذلك البيت الكبير ؟ »

- « لا ، فقد انتقلنا منذ خمس سنوات ، وحين تقاعدت ، الى بيت أصغر » .

فاستحسن لويزا البيت الاصفر ، وقالت : « انني واثقة أن تصرفك هذا كان حكيماً » .

وسأله بدون اكتراث : « وكيف تدبر أمورك ؟ ومن يعتني بك ؟ »

انه لم يأت كي يحدث لويزا عن هذا ، فمئذ وفاة زوجته جنح الى الهذر والتحدث مطولاً مع الاناس المحليين في الحوانيت ، وحتى في الشوارع حيث يسكن ، ومع أي انسان عما في حياته الجديدة من

مستحدث مريك • ولم يستطع أن يوقف نفسه ، فالحزن قد جعله
شخصا جديدا ، وأطلق هو على نفسه ضمير « أنت » •

وأخذ يخاطب لويزا : « تستيقظين في الصباح اذا لم تنسي أن
« تربطي » الساعة المنبهة في الليلة السابقة ، وتهبطين الدرج ،
وتتشاغلين في المطبخ المبارك ، لنقل هكذا ، وتهئين فنجانا من الشاي
وتحمليه وتبدئين الصعود الى الطابق الاعلى ، ثم تتوقفين : أنت
ترين ، تستطيعين أن تشربي شايك حيثما تريدين •• في الطابق
العلوي أو الارضي ، وتنظرين في الثلجة كي تري ما فيها ، وتجدين
أحيانا أشياء فاحت رائحتها بأنها باتت فاسدة • أنت لاتطبخين كثيرا ،
ربما تقلين بعض الاشياء • ولكن ليس ثمة مكان لائق نأكل فيه حيث
نعيش •

« تنسين أشياء - لاتعدي الطاولة أو ترتيبها ، والملابس الوسخة
مدعاة للقلق والازعاج ، فالفتاة تدخل ، ولكن هؤلاء الفتيات لاينظفن
تنظيفاً جيداً ، « وأضاف وقد بدت عليه الكآبة : « ثم ان زوجها يمتلك
عربة مقفلة لنقل البضائع ، لذا يمضيان ليااليهما يرقصان في النوادي ،
ويقامران في لعبة البنغو Bing - O أو في لعبة ذات اسم مماثل • وهي
لاستطيع ترتيب سرير ، وتأتي حين يحلو لها ذلك ، ولا تعرف كيف
تنظف السجادة بالفرشاة » •

وعبس أندروز ، ونظر الى الحائط •

وكان الرجل الاصهب في الغرفة المجاورة قد أدار مفتاح جهاز تسجيله ، فارتفع صوت الموسيقى مخترقاً الجدار كالاعصار ونافاً من ملابس أندروز الى جلده . وكان هذا الصوت يفحّ ويخنّ ويدوّم في أصوات أنفية تبعث على الرثاء الذاتي ومتضمنة أنين الرجال وصرخات الفتيات حين تتطاير تنانيرهن . فرفع أندروز صوته كما لو أنه يأمر الصوت بالتوقف ، وقال مرتبكاً : « ان زوجها يعاملها معاملة فظة قاسية ، ويضربها ضرباً شديداً ، وقد أرّنتني كدمات على ساقها وكثفها وقالت : انظر الى هذه الكدمات انها تصبح ، في الليل ، زرقاء وسوداء . قد رأيته على ساقها العارية من كل شيء . ان هؤلاء الشبان يضحكون ، ولا أدري لم » .

ورفع صوته ثانية وقال : « عليّ أن أتخلص من تلك الفتاة » . وكان في تلك اللحظة يخاطب ديزي والبلدة والعالم ، وعرفته الدهشة حين رأى لويزا مرة أخرى .

فقالت لويزا بهدوء : « يصعب الحصول على فتيات » . ان سارة لم تستطع الاتيان بواحدة » .

- « لم يبق لي الاّ ان أرحل من هناك ، وأبيع البيت ، كنت أقول لسارة ان بلدة كهذه سوف تلائمني . ففيها نسائم من البحر » .

ردت عليه بصوتها ، صوت كاتب الحسابات : « البيوت غالية هنا ، والأفضل أن تبقى حيث أنت ، انك ستضيع أطفالك » .

- « لقد بنوا حياتهم الخاصة » • ثم أوضح مهمته اليها : « ثمة شيء تعلمته ، وهو أن المرء لا يستطيع العيش في الماضي » •

كانا واقفين ، ولكنها قعدت الآن على الكرسي قرب الطاولة بينما ذهب هو الى الكرسي ذي الذراعين • فكّت أزرار معطفها الثقيل كما لو أنها تريد اظهار المرأة التي في داخله ، ولكنها ظلت ممسكة بحقيبة يدها التي وضعتها على الطاولة • وتوقفت الموسيقى التي كانت تخنق الجو ، غير أنها تحوّلت الى مقاطع « حازوقة » طويلة ذات قمرات طبلية واحدة رتيبة ، وأشبه هذا الصوت صوت عجلات قطار صاعد صباحاً حين تبدو الاشجار فاتنة في الحقول ، وتخيلها ، كما كانت قبل الخصام ، صديقة أكثر حساسية من ديزي المسكينة •

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

★ ★ ★

كان قد أطلّ ، مرة واحدة ، من نافذة القطار ليلقي في الموقت المناسب تماًماً نظرة على المصب العريض للنهر حيث شدّت القوارب الراسية • وفي تلك النظرة الخاطفة للبحر رآه وقد فُقدَ مظهر جيشانه وحرّنه على الاموات المكدسة في أعماقه وأخذ يتموّج كالعلم ، وصدمه حين غادر المحطة وصعد في شارع التسوّق أن هذا الشارع كان مليئاً برجال ونساء التفت سيقانهم وأذرعهم مع بعضها طوال الليل في الأسرة • ومرّت به عشرات النساء ، نساء لم يعرفهن قط ، ولكن ربما يصفعن وجه المرء اذا استوقفهن وأوضح حالته •

ومع ذلك ، كن يبدینَ ، وهن يسرعن ، كما لو أنهن يسألن المرء لِمَ لم يفعل ذلك . فماذا تستطيع أن تقول ؟ وكيف تبدأ ؟ عليك أن تتعرفَ عليهن ، ولكن ما يبعث على الضيق أنه ، طوال حياته ، لم يجد متسعاً من الوقت لمثل هذه الأشياء . فالمرأة الوحيدة التي عرفها هي لويزا . لقد عرفته وعرفها ، وبطريقة مضحكة عجيبة أمضيا في المكتب معاً سنوات من الاقتران .

وفي الغرفة كان أندروز يتنازع مع صوت الطبل الذي استمر واستمر ، بل لقد أخذ ينقر على قدمه . وبدت لويزا قرب الطاولة بعيدة بضع سنوات عنه ، وكانت جموع النساء في الشوارع والدكاكين جدّ قريبة وجيدّ مفاجئة ، ولكن البعد عن لويزا جعله يتوقف عن النقر . فوضع ساقاً فوق أخرى ، وأحسن بشكون رغبة جليل لم يحسّ به قط من قبل ، رغبة في مكان رخيص كهذا .

قال بصوت عالٍ غير طبيعي مردداً ما قاله قبيل هنيهة : « تبدو سارة في صحة جيدة » ، وهذا الحكم كان غير صحيح ، « لقد قالت ليس ثمة أماكن خالية » .

ردت لويزا : « شكراً لك ، انها كذلك » .
- « لا بد أن عليك أشياء كثيرة يجب القيام بها وأنتم تديران هذا المكان ، لقد قالت ان الاماكن جميعها مليئة » .

فكانت لويزا وهي تضحك ضحكة خفيفة : « اعتقد أنها مشغولة ،

فكل مكان في البلدة يصبح مليئاً في أثناء العطل ، أنت تعلم أنني
لا أعيش هنا »

★ ★ ★

- « كنت أظن أنك تقيمين هنا » . نطق اندروز بهذه العبارة وهو
يتحسس جيبه بحثاً عن رسالتها .

- « لا ، فأنا أقيم في الفندق ، انه أكثر راحة ، فقد بعنا البيت
القديم في لندن حين توفيت والدتنا » .

انتقلت الى الفندق !! يا لله ، انها تبدو الآن وقد تركت البعد عنه
وأخذت تقترب منه . فهو ، بوصفه بائعاً ، أمضى وقتاً طويلاً في حياته
ينزل الفنادق ، وأحب بالطبع تلك المساحات الواسعة من السجاجيد
المفروشة في الفنادق الفخمة ، فهذه الفنادق قصور للسرور والمتعة
والمال . وحين يلمس المرء نجادة تنافسها تبعث فيه أحاسيس
شهوانية . وحتى في فندق صغير ، في بلدة كهذه ، يتبدى الضيوف
ونُدل المطعم والخدم والكتبة ، مثل أشخاص في حلم وهم ينتقلون
صامتين من غرفة الى أخرى . وحين يرن جرس الهاتف يسمعون أصواتا
من عالم آخر . ان المرء يصبح ، في حد ذاته ، حلماً .

قال مظهراً إعجابه بجدارتها : « كنت أوشك أن أقول ان هذا المكان
لا يبدو لائقاً بك » . ثم لوح باستخفاف يده مشيراً نحو الأثاث .

صاح للمرة الثالثة كي يعلو صوته على الموسيقى : « لقد فعلت ما كان يجب عليّ أنا نفسي أن أفعله . هل تنزلين في فندق جورج ؟ »
وأضاف متحدياً : « لا تخبريني أنك تنزلين في ذلك الفندق . لقد تناولت غذائي فيه هذا اليوم ، انه فندق مريح جداً وفيه سمك شهى . ولكنني لم أرك هناك » .

استوى في قعدته ، وأنزل احدى ساقيه عن الاخرى ، وأحس أنه قد أصبح أعجوبة .

قالت ، وقد ابتسمت له ابتسامة هائلة ، هي ابتسامتها الحقيقية الاولى : « لا ، انني أنزل في أعلى التل قرب الكنيسة بفندق كلارنس . هو أهدأ وأفضل » .

وبجشع شديد قال : « هل يظل على البحر ؟ »

- « بالطبع ، كل غرفه ، وله حديقة جميلة » .

كان من مبادئه الاخرى في الحياة ألا يخسر ، فسحب من جيبه قائمة بأسماء الفنادق المحلية .

- « نعم ! ها هو ذا ، فندق كلارنس ، ٣٧ غرفة ، تطل جميعها على البحر » .

فقالت له : « أجر الغرفة بحمام ٢٥ جنيه استرليني في اليوم ، وهذا لا يشمل الخدمة وقيمة الضريبة المضافة ، والمحاسبة أسبوعياً » .

- « هذا حسن » ، وأضاف مهنئاً إياها : « فندق ثمين » .

قالت له : « ليس بالنسبة لما حصلت أنت عليه » .

كانت أسرة برودر فقيرة شحيحة تعمل بعناية على توفير المال
ولا بد أن لويزا وفرت قدراً كبيراً منه حتى تستطيع النزول في فندق
مثل كلارنس .

فقال متشامخاً : « لمَ لا نتناول طعام العشاء هناك هذه الليلة ؟
دعيني أدعوك وأدفع الحساب » .

- « لا أستطيع ذلك يا مورتون » .

قال : « ليكن في فندق جورج إذا أردت التغيير . شيء عجيب في هذا
الفندق ، فقد حصل أصحابه على سجادة تشبه تلك التي بعثها حين
كنا منذ سنوات في برايتون ، واحدة كالتي كنا نبيعها ، زهرة ديميتير ،
الشوكولاتة والازهار ، أنت تذكرينها ولا ريب ، وأنا واثق من ذلك ،
زهرة الاقحوان في جرة ٠٠٠ » .

وضحك متشوقاً : « سنكون وكأننا في الايام الماضية » .

فعبست لويزا ، وقالت : « مورتون انني لا (أنزل) في فندق
كلارنس . فأنا لست نزيلة أو ضيفة ، انني أعمل هناك في المكتب .
ونحن مشغولون جداً ، وعليّ أن أغادر هذا المكان خلال دقيقة ، وأشرف
على وجبات العشاء . فمُنذ قليل حجز اثنا عشر ألمانياً غرفة في الفندق ،

وكان مكتب الاستقبال يتحدث هاتفياً معي حين كنت تتكلم مع سارة «
وتلاشت لويزا في عينيه ، وحدّثي بها فاعراً فاه :

– « تعملين هناك ؟ هل قلت تعملين ؟ »

لقد سخط عليها لأنه ارتكب خطيئة ، فاستدار الى الشاب في
الغرفة الثانية وقال : « أتمنّى لو أن سارة تجعل ذلك الغلام يوقف
هذه الضجة اللعينة ، فالمرء لا يستطيع أن يسمع ما يقال » .

نظرت لويزا عابسة اليه وقالت : « أوه ، ان هذا هو بيتر ، ابن
زوجي ، يستعد لامتحاناته فيدير جهاز التسجيل حين يعمل . لقد
اعتدتُ أنا على ذلك ، ولكنه يثير أعصاب والده ، ولذا بعثنا به الى
هنا ، الى بيت سارة ، ولكنه يتناول طعامه معنا في الفندق . فحين
تدير فندقاً عليك أن (تؤمّن) أمكنة النزلاء أولاً » .

– « ابن زوجك »

وبدا كما لو أن هواء الزفير يصفر وهو يخرج من رئتيه ، وعلا صوته
كأنه صوت صبي صغير ، وبدت لويزا أمامه وكأنها تتقافز بين أرضية
الغرفة وسقفها مثل فيلم أفلت من آلة العرض السينمائي .

فقال مثل شخص يتحلى بقوة شديدة :

« نعم ! أنا زوجة أبيه »

وتسمّر أندروز فجأة في كرسيه بين الذراعين الضيقين ، وقد ففر فاه الذي خلا من أية كلمة ، فاه ذلك الثقب الاحمر الاحمق الذي لم يستطع أن يغلقه . وبدا له أن لويزا ليست امرأة واحدة ولكنها جزء من جمع النساء العام الذي رآه في شوارع البلدة ، وهن يلوحن بحقائب اليد بأيديهن ، ويحملن بمشقة أكياس مشترياتهن ، ويسخرن منه بلا مبالتهن . وفي انذهاله هذا فقدّ كل احساس بانزمن كما حدث معه غالباً من حين كان يعيش وحيداً ، وأوشك أن يقول : « ستصاب ديزي بنوبة عاطفية حين أخبرها هذا » . إلا أنه استعاد وعيه ، وقال لها : « أنا لا أصدقك » .

ان أرمل منافساً قد سبقه ، ولكن ثمة أيضاً اهانة له فهي لم تستشره أولاً بوصفه رب عمل سابق لها .

وأحسّ أن في رسالتها اليه ، والتي يحملها في جيبه ، نوعاً من فاتورة الحساب . فأخرجها ، ووضع نظارتيه فوق عينيه ، وقرأها ، ثم قال وقد أخذ ينظر من فوق اطار نظارتيه : « أنت لم تقولي هنا انك متزوجة » . لقد كانت الرسالة موقعة باسم أسرتها الاصلية لا باسم أسرة زوجها .

أجابته بشكل رسمي : « لم أكن آنذاك متزوجة . لقد تزوجنا ، السيد فورستر وأنا ، خلال السنة الماضية حين حصل على الطلاق » .

وانتفخت لويزا عجباً وكبرياء حين لفظت كلمة « طلاق » ، فقد

كانت تعلن أنها ليست ممرضة مواسية أو عانس خائبة لا تصلح إلا لأرمل وامن ، انها ليست ضحية ، فقد فتننت رجلاً فأقدم على طلاق زوجته . وكان في هذا اشارة تأنيب ، فماذا قدم أندروز اليها ؟ ولكنها عن غير قصد أسقطت الموضوع .

- « ان زوجي يدير فندق كلارنس ، ونحن جزء من سلسلة » ، وقد زادت كلمة « سلسلة » من أهميتها ، وأضافت : « وهكذا هو فندق (جورج) ، وعندما يمتلئ الفندق بالنزلاء نستطيع أن نرسل بعض الافراد الى هنا » .

وأبدى أندروز ملاحظة ساخرة باهتة : « تبدون كأنكم تملكون البلدة » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لم ترد أن تترك المسألة تمر ، فتظاهرت أنها تأذت ، وقالت : « لا أدري لم تفاجأت كثيرا يا مورتون ، فالواقع أنك قابلت زوجي » . لقد أصبح في قفص الاتهام ، وبقدر ما يستطيع من البرود قال : « قابلته ؟ لا أظن ذلك ، أين ؟ ما اسمه ؟ »

- « اسمه مثل اسمي ، لقد أخبرتك ، فورستر ، جاك فورستر » .

★ ★ ★

فتحسس جيبه ثانية ، ثم كف عن ذلك ، وقال : « انني لا أتذكر أي فورستر » .

فقالت مداعبة : « آه ! يا مورتون ، تذكر ! برايتون ! حزينان سنة ١٩٧٤ ، المعرض التجاري ، وحين حصلت على ذلك العقد الكبير ، عقد سجادة زهرة ديميتير . أنت تذكر ذلك ، انني واثقة » .

لقد كانا هناك ! وفي شدة خصامهما ٠٠٠ من المؤكد أنها ، بعد هذه السنوات الطويلة ، لن تثير تلك المسألة .

قال متباهياً : « أنكر أنني فزت (بطلية) تجارية قيمتها عشرة آلاف جنيه » ، بيد أنه لم يستطع ابعاد فكرة زواجها .

ومن بين أسنانها قالت : « انني لا أتحدث عن السجاجيد » .

وبدت لناظريه عيناها ، اللتان جعلتهما نظاراتها أكبر من حقيقتهما ، وكأنهما تبتشان في حياة عملهما القديم معاً كما لو كانت كومة من قمامة ، كان فيهما سؤال صيغ بتكاسل من أجل ارضاء بعض الغرور .

لن يكون ، في وضعه الحاضر هذا ، أحقق فيرضيه .

عرف أن التحديق لا يفتقر ، وأنها ربما تفرض سؤالها عليه .
لقد مسح من ذاكرته كل ذكرياته عن ذلك الوقت المعروف تماماً الذي أمضياه في برايتون ، ولكنه تذكر الآن أن يعود بذاكرته الى الفندق الذي نزل فيه ، والى الصالون الذي كانت تنتظره فيه ، وتذكر قولها بتحمس : « هل أتيت بها ؟ » ، وأنه قال لها : « دعينا من هذا » .

لقد عبرا الشارع الى المنتزه على شاطئ البحر ، وتذكر الشاطئ الطويل الزاهي الغارق في الأنوار ، حيث الأعلام ترفرف من فوق الفنادق ومن على أعمدة النور ، وكيف أن هذه الانوار أضفت منظر البحر الهامس . لقد كان الشاطئ مثل خشبة المسرح ، وبدأت الجموع مهرجة وهي تنتقل من مصباح الى آخر . أما هي فشبت ذراعها بذراعه بينما كانا يتحدثان عن نجاحه .

كانا ، في أثناء المعارض التجارية ، يتناولان طعام عشائهما عادة في الفندق مع الأناس المهتمين بقضايا التجارة ، وكانت تتركه مع الرجال وتمضي في وقت مبكر الى غرفتها ، ولكنها في هذه الليلة أقنعتهم أن يحتفلا في مطعم . وقد احتسبا كأساً أو اثنتين من الشمبانيا ، ثم عادا متباطئين الى الفندق ، وهناك سحبت ، باحتراس ، يدها الهزيلة من تحت ذراعه بينما كانا يعبران الردهة الى المصعد ، وفيه تعلقت بذراعه ثانية وعصرتها وهما يصعدان الى طابقهما . وعلى باب غرفتها استبقته ، مرتبكة الى حد ما ، يتكلم ، وكان صوتها يزداد هدوءاً ورقة ، وتظاهرت أصابعها أنها تلتقط نديفة قطن من فوق طية سترتها .

ثم غمغمت وكأنها تأكل ، وفي عينيها نظرة آكلة : « ادخل لبضع لحظات » .

وعرت أندروز دهشة ، وتذكر أنه ما كان يجب عليه أن يتركها

تحسني تلك الشمبانيا • فنظر الى ساعته وقال :

« يا الهي ! أتدريين ما هو الوقت الآن ؟ انني لما أخبر ديزي بعد كي أنقل لها الانباء ، لقد تأخرت » •

وعندئذ رأى وجهها وقد أدارته ، وبدأت عليه مسحة من غضب • ثم أصبح فجأة وجهاً قاسياً خاوي العينين ، مثل قناع من النحاس في ضوء ممر الفندق الاصفر الباهت ، حين قال لها ، بطريقة أبوية ، « ليلة سعيدة » وتركها ومضى الى غرفته في نهاية الممر • وقد فاجأه صفتها القوي للباب ، ولكنه أحس بالسعادة ، فهو لا يستطيع أن يمضي نصف الليل معها يتحدثان عن متاعب أسرة برودر •

وفي اليوم التالي لم يستطع أندروز ، قط ، أن يخبر زوجته ما حدث في المساء التالي ، فديزي ما كانت لتصدقه ، وكانت ستصيح منتصرة انها « قد عرفتھا منذ سنوات » • فذلك المساء يضم شطراً كبيراً من تاريخه ، وهو جد ثقیل في ذاكرته متداخل فيها كما لو أنه الحلق بعينه والرغبة المكبوتة التي لم يعرف قط مثيلاً لها وأفلح في استبعادها من ذاكرته حتى هذا اليوم • والآن ، عادت دقائق ذلك المساء الى الحياة ثانية بينما هو يكلم لويزا المتزوجة هذه ، وفي هذا المسكن الصغير التعيس على شاطئ البحر •

ففي اليوم التالي « لاحتفالهما » ذاك تأخرت لويزا في الوصول الى جناح مؤسسته في المعرض ، وليس في ذلك ما يثير أية دهشة ، اذ

كانت تشكو من الصداق • طلب منها أن تذهب الى الفندق وتنام ، وكان هو نفسه منهمكاً جداً بتفاصيل مبيعاته ، فلم يذهب الى غرفته في الفندق الاّ في حوالي الساعة مساء • وحين وصل اليها كان جرس الهاتف يرن ، كانت سارة • ان أسرة برودر ثائرة جداً ! أين لويزا ؟ وأضافت انها كانت تتصل طوال اليوم ، فوالدتهما مريضة جداً ثانية ، هي تحتضر بالطبع • وكانت السيدة برودر العجوز تُحتَضَرُ في كل مكالمة هاتفية أجرتها سارة منذ سنوات • ان على لويزا أن تعود فوراً الى البيت •

وكي يجعل سارة تختصر كلامها قال : « انني واثق ان لويزا في غرفتها • سأذهب وأرى » .

ومضى الى غرفة لويزا ، وقرع الباب عدة مرات ، فقد كان يسمع أصواتاً في الداخل • وسمع صوت رجل يقول :

– « يا للجحيم ! من هذا ؟ قل لي له أن يذهب ؟ • وفتحت لويزا الباب ، وهي ترتدي عباءة صفراء فاقعة ، وقالت لرجل أصهب الشعر خرج من الحمام : « انه المستر أندروز » •

فقال الاصهب : « قل لي له أن ينصرف ويهتم بشؤونه » •

كان الرجل يحمل بيده ربطة عنق ، حافيا • وبدا أندروز أنه لا يصدق ما رأت عيناه ، حتى أنه بشق النفس عرف لويزا أو تذكر اذا كان

قد قال شيئاً لها • ولكنه هنا نفسه لأنه تذكر الكلمات نفسها التي قالها للرجل :

– « انني اكلم سكرتيرتي ، فأمها مريضة جداً » •

وكان جواب لويزا : « انني سأتصل بسارة فيما بعد ، فهي دائماً تتفقّدي » •

وصفقت الباب بوجهه •

وظل لا يصدّق ما رأى ، فمضى الى غرفته ، واتصل بسارة وبطريقة مشوشة قال لها أولاً ان لويزا نائمة ، ثم انها مع أصدقاء • ولكن سارة قالت له :

– « انك تكذب ، فهي معك وأستطيع ان أسمعها ، هل تظن انني لا أعرف ما يجري بينكما » •

لقد عاني أندروز من أسرة برودر ما فيه الكفاية ، فثار ، وقال لها :
– « اذا أردت ان تعرفي فلا بأس ، لقد التقطت شخصاً ما من المقصف » •

وأذهلته سارة بضحكها ، وقالت : « ان هذا سيوقفك عن مغازلتها ، أليس كذلك ؟ » •

والآن ، وفي بيت سارة ، والعجوزان من أسرة برودر ينظران اليه من صورتهم الموضوعة فوق رف الموقد ، رأى لويزا وهي تنتظره أن يتكلم • وحين لم يفعل قالت له :

– « قلت لسارة انك قد قابلته ، وهذا لم يكن عملاً لطيفاً منك يا مورتون . انه زوجي الآن ، وهكذا ترى أن من الحرج أن أتناول طعام العشاء معك . والواقع أنني لا أظن أن هذه البلدة تناسبك ، ليس كذلك .

« والآن عليّ أن أذهب ، وعليك أنت أن تلحق بالقطار . ستنقلني سارة الى فندق كلارنس ، وستوصلك الى المحطة . اهنك شيء آخر تريد أن تسألني عنه »
– « لا شيء »

وتحرك مقبض الباب ، وحزر أن سارة كانت تتنصت عليهما من وراء الباب ، لأنها دخلت الغرفة وقالت : « والآن يا لويزا ، لقد اتصل زوجك ثانية » .

وفي السيارة قالت لويزا لسارة : « أخبري بيتر أن يرتدي ربطة عنق اذا كان سيأتي لتناول طعام العشاء » .
ولم يقل أحد شيئاً آخر .

ورأى أندروز ، بالطبع ، فندق كلارنس ، ولكن لا شيء غيره . وهمرت عجلات القطار مثل صوت سارة بينما كان عائداً الى لندن .
وحين مرّ بمصب النهر في الفسق رأى القوارب وهي لا ترفع أي علم أو راية .



ايني وديدون

الياس سعدغالي

ايني (اينياس أو انياس) هو بطل ملحمة الانياذة (١) التي كتبها نثرًا عام ٢٩ ق.م . ثم نظمها شعرا في اثني عشر نشيدا أو كتابا أعظم شعراء الرومان فرجيل الذي توفي عام ١٩ ق.م . وايني بحسب الاسطورة ابن انخيس (انشيز) ، نسيب ملك طروادة ، وربة الجمال أفروديت التي هي من أعظم ربات الاغريق وتدعى عند الرومان فينوس وعند العرب الزهرة .

لقد اقترن الانسان الفاني انخيس بالربة الخالدة افروديت فرزقا ايني . وقد كان الاعتقاد السائد عند الرومان وعند الاغريق بأن الإنس والآلهة يتزاوجون « اذ أن آلهة الاغريق خليط من معبودات من تقدمهم من الملل كالبابليين والاشوريين والمصريين والهنود ، لكنهم أهملوا عبادة الحيوان والجماد وجعلوا للصفات والموصوفات أجساماً حيّة مدركة هيأوها بهيئة البشر ومسحوها بمسحة اللاهوت ولم ينزّهوها عن شيء من شوائب البشرية ففيهم الجشع والطمع والكذب والمخاتلة

والغدر والغضب والحقد ومع ذلك فانهم يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر يثيبون ويعاقبون ويراقبون الخلق كآلهة سائر الاجيال غير أن في صفاتهم تناقضاً ، فهم : إنس كسائر الإنس بالنفس والجسد ولا مميّز لهم الا القدرة والخلود ، لهم طعامهم وشرابهم ومجالس انس وطرب وملاه ومنازل وقصور وفرش وثيرة ومركبات وجياد ، يجالسون البشر الى ولائهم ويتناكبون ويتناسلون يستولدون الإنسيات ويزوجون بناتهم من الانس فيستولدونهنّ وفي كلتا الحالتين ينشأ المولود بشرا كسائر الناس (ولو كانوا أبطالا أو انصاف آلهة) (٢) ، وللانات منهم ولع كولع الانسيات بالتبرّج والزينة ولهن حلي وطيب يدللن على أزواجهن ويستوينهم ويخاصمنهم ، وكلل إله وإلهة مزية خاصة وولاية لا يمكن تعدّيها اذ انهم كالبشر درجات بعضها فوق بعض ويد زفس فوق أيديهم جميعا فهو الحاكم المطلق « (٢) » .

ونجد في سفر التكوين أن حدث أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ٠٠ وبعد أن دخل بنو الله على بنات الناس ولدن لهم أولاداً ، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم (٣) ٠ ولقد كان لهذا الكلام تأثير دون شك في ما قاله اخنوخ الجد السابع بعد آدم في الكتاب المنسوب اليه طبعاً والذي يعود تاريخ وضعه على الأرجح وعلى أبعد حد الى تاريخ متأخر ، القرن الثالث قبل الميلاد : عندما تكاثر أبناء البشر ولدت لهم بنات جميلات رشيقات وعندما رآهن الملائكة أبناء السماء عشقوهنّ وقال بعضهم

لبعض لنختر لأنفسنا نساء من البشر وليكن لنا منهن أولاد ، فاختار كل واحد من الملائكة المئتين المتآمرين امرأة ، وساكنوا نساءهم فولدن لهم أولاداً جبابرة طول الواحد منهم ثلاثمائة ذراع(٤) . ولسنا ندري ماذا كان يدور في خلد اللاهوتيين البيزانطيين الملتزمين في القسطنطينية عندما أخذوا يبحثون ويناقشون في جنس الملائكة أذكور هم أم إناث و « فيلبس - التركي - على الابواب » ؟!

أكان لما جاء في سفر التكوين المشار اليه أثر في الاساطير اليونانية أم ان تلك الاساطير وأمثالها عند بقية الأمم هي التي أثرت في التوراة وفي كتاب اخنوخ مما كان له صدى بل أصداء عند العرب ، اذ لا بد من أن يكون تسرب اليهم أيضاً شيء من معتقدات تلك الامم الغابرة قبل الاسلام فاعتبروا تلك الآلهة جنّاً وأبالسة وشياطين حتى صار يجري عندهم بحسب قصصهم مثل ما كان يجري عند غيرهم من الشعوب ولا سيما الاغريق ، وقد أشار القرآن الكريم الى معتقد أولئك العرب الذين كانوا يعتقدون أن الملائكة « بنات الله »(٥)، وابن تيمية مثلاً يعرب عن اعتقاده بأن الانس والجن يتناكحون فيولد بينهما وان هذا كثير ومعروف ، وان هناك من يدعون أنهم حضروا عرساً بين الانس والجن . والشيخ محي الدين بن عربي يقول : ان بلقيس متولدة من الجن والانس . أمها من الانس وأبوها من الجن ولو كان أبوها من الانس وأمها من الجن لكانت ولادتها عندهم وكانت تغلب عليها الروحانية ولهذا ظهرت بلقيس عندنا(٦) .

أذن تروى الاسطورة أن ايني ولدته أمه الربّة افروديت على جبل ايدا وروى هوميروس في الياذته أن اخيل ابن الربّة ثيتيس ، أشهر أبطال اليونان في حرب طروادة أثار غضب ايني باعتدائه المتكررة على قطعانه فقرر ايني نجدة بريام المحاصر في طروادة ، وتصرّف بشجاعة ونازل أبطال الاغريق ، وما نجا من سهام اخيل الا بأعجوبة . وهو ما غادر طروادة بعد سقوطها بل جمع شمل من بقي من رجالها في قيد الحياة وأسس مملكة جديدة على أنقاض مملكة بريام . غير أن الروايات الرومانية تروي غير ذلك . فالاديب الشاعر الروماني الكبير فارون (١١٦ - ٢٧ ق م) الذي روى عن الأسر الرومانية وطريقة حياتها أشياء كثيرة قرّر أن أصل الشعب الروماني طروادي . لقد كان فارون شديد الايمان بأجداده فأبرز ما تميّزت به روما وما انفردت به كوضع النظم ورفع المستوى الاخلاقي وتنشيط اللغة والأدب واقامة العدل . لقد نظم فارون نحو ١٥٠ قصيدة عالج فيها مواضيع سياسية واخلاقية مبسطة قضايا فلسفية عديدة ، وترك معلومات قيّمة عن روما القديمة ودون العادات وثبت الطقوس الدينية وشرحها مبرّرا اياها بكل ما وجدته في العلم والفلسفة اليونانية الرومانية (٧)، كما روى الشاعر اللاتيني الشهير اينوس (٢٣٩ - ١٦٩ ق م) (المعترّ كثيرا ببلده وأجداده كل قصة روما من ايني حتى حرب ايتوليا ، وان كانت كتاباته ترجمات أو اقتباسات من المسرحيات اليونانية ، وقد قلّد الياذة هوميروس في مؤلف من ١٨ كتابا لم يصلنا منه سوى ٦٠٠

بيت ٠ وكتب كاتون (٢٣٤ - ١٤٩ ق م٠) تاريخا لروما وأصلها، وكاتون كان يعتبر ايطاليا كلها وطنا واحدا وجاء فرجيل بعد هؤلاء فتلقّف تلك الروايات والمعلومات بالاضافة الى ما اقتبس من هوميروس كفكرة الهبوط الى الجحيم ووصف ترس ايني الذي زيّنه بأهمّ حوادث التاريخ الروماني، وثبّتها في ملحمة الانياذة بأسلوبه الرائع ومقدرته الشعرية الفائقة، وجاءت ملحمة فرجيل تمجيدا للتقوى المرتبطة ارتباطا وثيقا بالوطنية وتعظيماً للفضيلة التي هي عنده معرفة تاريخ روما وعبادة الماضي (٧) ٠

لقد روى فرجيل في انياذته أن ايني ، بناء على أمر والدته ربة الجمال افروديت غادر مدينة طروادة والنار تلتقيها كأنها روما نيرون كما وصفها مطران (٨) أو عمورية المعتصم كما وصفها أبو تمام :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يشله وسطها صبح من الذهب

ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضحى شحب

وتاه ايني في عرض البحار وطولها مدة سبع سنين بحثاً عن الوطن الجديد الذي منّته الآلهة به ٠ وفي هذه الرحلة ما ان غادر ساحل صقلية حتى أثارت عاصفة هوجاء في وجهه الربة الشرسة هيرا (٩) التي كانت

تكره الشعب الطروادي كله وتنقم عليه لأن باريس ابن ملك طروادة كان حكم بأن افروديت أجمل منها ومن أثينا • ولما بلغها أنه تنبىء لايني بأن ذريته ستكون شعبا عظيما وانه سيدمر قرطاجة مدينة هيرا المفضلة أثارت تلك العاصفة العاتية انتقاما لنفسها ومحاولة منها لابطال مشروعه • وقذفت العاصفة بسفن ابن انخيس ورفاقه الى ساحل ليبيا • وغضبت افروديت لحقد هيرا المستمر ورأت أن تصمد في وجه هذه الآلهة العاتية فأرشدت ابنها أن يتوجّه الى قرطاجة التي كانت تؤسسها ديدون بنت ملك صور الفينيقية ، التي هربت خفية مع بعض رجالها الأمناء من صور خوفاً من جور بيكماليون شقيقها الذي قتل زوجها، فجاءت الى افريقيا وبنت مدينة قرطاجة التي سرعان ما ازدهرت، وبالنظر الى جمال ديدون وغناها رغب ملك مجاور يدعى هيارباس أو « جارباس » في الاقتران بها وحبّذ هذا الزواج رجال ديدون فتظاهرت بالقبول، هي التي أرادت أن تبقى حتى الممات أمينة لزوجها سيثيه أو « اسرباس »، لكنها أمرت يوم زفافها باقامة محرقة في الساحة العامة ولما اشتعلت النار في المحرقة ألقت ديدون بنفسها وسط اللهب فاحترقت، ومنذ ذلك اليوم أخذ شعبها يكرمها كما تكرم الآلهة • وقد استفاد فرجيل من هذه القصة في انيادته وجعل ديدون تموت لا لتبقى أمينة وفية لزوجها بل لسبب آخر •

وفي اليوم التالي من وصول ايني ورفاقه بسفنهم الى الشاطئ الافريقي توغل ايني في البر هو ورفيقه الامين اخاتيس مستطلعا •

وفي الطريق اعترضته أمه أفروديت وأخبرته بما قدّره رب الأرباب جوبيتر لروما من مصير عظيم رائع وانها أرسلت إله الحب كيوبيد الى ديدون ملكة قرطاجة ليحملها على حب اينى . وسار اينى ورفيقه سيرا حثيثاً حتى وصلا قرطاجة فأعجبا بها وشاهدا رسوم بعض حوادث طروادة الهامة في حربها ضد الانغريق منقوشة على جدران هيكل فخم كان يجري بناؤه، كما هي منقوشة اليوم، مع بعض الاساطير اليونانية، أجمل نقش أو مرسومة أروع رسم في متاحف من أعظم متاحف الدنيا ان لم تكن أعظمها ، كفونتنبلو وفرساي ولا سيما اللوفر في باريس . وقد جاءت ديدون صدفة في تلك الساعة لتتفقد الاعمال الجارية في الهيكل . وفي ذلك الحين وصل أيضا بعض رجال اينى يطلبون حماية الملكة ، ولما التقوا بها شرحوا لها ما أصابهم وقالوا : ملكنا اينى ، أعدل الناس وأتقاهم وأشجعهم . لن تندمي اذا أحسنت الينا الى أن يتاح لنا اصلاح سفننا فنغادر هذه الديار الى ايطاليا فرحين .

وأجابتهم الملكة ديدون : أقصوا الخوف عن قلوبكم وهدّو روعكم . فمن لا يعرف شعب اينى ومن يجهل مدينة طروادة وأمجادها وأبطالها ؟ ! سأمدّ اليكم يد المساعدة على الرحيل أو البقاء في مملكتي اذا شئتم . فمدينتي مدينتكم، وسأعامل أبناء صور وأبناء طروادة على قدم المساواة وأرجو أن يدفع البحر بملككم اينى الى هنا .

عندئذ انقضت الغيمة التي كانت تحجب اينى ورفيقه بأمر

أفروdit عن أعين الجميع فظهر وكأنه إله، وقد جمّلته أمه بألف زينة فخطب الملكة أمام الجمهور الذي أذهله هذا الظهور المفاجيء ، قائلاً :
ها أنا ذا ايني الطروادي ٠٠ لقد نجوت من مياه اليمّ وأنت الوحيدة التي أشفقت على بؤس الطرواديين الذي لا يوصف، لقد فتحت مدينتك وقصرك لمن نجا من غضبة اليونانيين وقد أنهكهم ما قاسوا في البرّ وفي البحر ، وقد جرّدوا من كل شيء في هذه الدنيا ، فليس في وسعنا أيتها الملكة ديدون أن نعترف بأفضالك علينا كما ينبغي ، فالآلهة ٠٠ تكافىء التقوى ، وإذا كان للعدل وحبّ الخير قيمة فلتهبك هي المكافآت التي تستحقينها ٠

ودعت ديدون الطرواديين قائلة : تعالوا أيها المحاربون الشباب وادخلوا منازلنا ٠ فانا عرفت الشقاء وتعلمت أن أغيث البائسين ٠ ولم تنس الملكة أن تبعث الى رفاق ايني الذين عند الشاطئ بعشرين ثوراً ومائة خنزير ومائة حمل مع أمهاتها ٠

وأرسل ايني الى أولئك الرفاق رسولا ليطمئنهم وليرسلوا اليه بعض الهدايا مما بقي لهم من طروادة ٠ وجاءت الهدايا فقدم ايني للملكة ثوبا مزينا بالرسوم الموشاة بالذهب ووشاحا بلون الزعفران وهو الوشاح الذي كانت أهده ليدا الى ابنتها هيلانة التي سبّبت حرب طروادة ، وصولجاناً كانت حملته بنت الملك بريام الكبرى وعقدتها وتاجها الذهبي المرصع بالاحجار الكريمة ٠

ودعت ديدون ايني الى تناول الطعام على مائدتها وجلست عند منتصف المائدة على سرير من ذهب مجلّ بنسيج من البروكار، وجلس ايني ورفاقه على أسرة ارجوانية ، وكان الخدم يسكبون الماء على أيديهم ويقدمون اليهم الخبز .. وكان في الداخل خمسون امرأة يهيئن الأطعمة ويحرقن البخور عند أقدام تماثيل الآلهة ، ومائة امرأة أخرى ومثلها من الخدم من نفس السنّ يضعن على الموائد المأكّل وكؤوس الشراب .

وفور الانتهاء من الطعام رفّعت الأطباق وأتي بالخمّر وارتفعت ضجّة كبيرة وعلت أصوات المدعوين في القصر ذي السقوف المذهبة التي تتدلى منها ثريات متلألئة الانوار وقد تغلّب ضوء المشاعل المتقددة على ظلمة الليل . عندئذ طلبت الملكة أن تُملأ الكأس الكبيرة الذهبية المرصعة بالجواهر التي اعتاد الآباء والأجداد أن يملؤوها . ولما أترعت الكأس ابتهلت ديدون قائلة : أيها الإله جوبتير اجعل هذه الليلة ميمونة للصوريين والمحاربين الآتين من طروادة حتى يحتفظ أحفادنا بذكراها ، وليكن في عوننا الإله باخوس مبدع البهجة والآلهة هيرا العطوف .. وأنتم أيها الصوريون ارعوا الاحتفال بهذه الوليمة . قالت ديدون هذا وسكبت على المائدة بواكير الشراب ثم أدنت الكأس من شفيتها حتى مسّتهما الخمرة وأعطت الكأس الى بيسياس وحرّضته على الشراب فأفرغ الكأس الذهبية جرعات طويلة في طرفة عين ، وبعد ذلك جاء دور المدعوين وأخذ ايوباس يُعيد على أنغام قيثارته

الذهبية الاناشيد التي علمه اياها العملاق اطلس فتغنى بالقمر الشارد
وكسوف الشمس وأصل الجنس البشري والحيوانات وسبب الامطار
ونار الاثير والنجوم وطفق الصوريون يصفقون ومثلهم فعل الطرواديون .

وأخذت ديدون تطرح على ايني ألف سؤال بشأن بريام وهكتور
وحرب طروادة وابلائه فيها فقصّ على الملكة الذاهلة حوادث الليلة
المشؤومة وكيف سقطت طروادة العظيمة وكيف تظاهر اليونان
بالانسحاب تاركين في ميدان القتال حصاناً خشبياً ضخماً صنعوه بناء
على نصيحة كالكاس الذي كان من أشهر منجميهم ، وقد ملأوا جوف
الحصان بالرجال البواسل المدججين بالسلاح . وتوارى أسطول اليونانيين
وما بقي شيء يتحرك على الشاطئ وحول طروادة . فتعجب الطرواديون
ثم تجرأوا على الخروج الى السهل ودخلوا الاماكن التي كان العدو نازلا
فيها وشاهدوا ساحات القتال حتى اقتربوا من الحصان العجيب وأخذوا
ينظرون اليه ويتلمسونه بفضول وحذر واذ نبق لهم فجأة رجل يوناني
يدعى سينون وأخذ يستعطفهم ليقبلوه مدعياً أن قومه الاغريق كانوا
يريدون أن يضحوا به ليؤمنوا لأنفسهم عودة ميمونة . وسأله عن
أمر هذا الحصان الضخم العجيب الذي أقاموه عند السور فأكد لهم
أن قومه كانوا ينوون تقديمه قربانا للإله منيرفا لتهديئة غضبها على
اليونانيين لأن أوليس وديوميدي سرقا تمثالها ، وانهم ما ضخموا
تقدمتهم التكفيرية أي هذا الحصان الا لأنهم يعرفون جيداً أن الحصان
إذا أدخل الى مدينة طروادة سيكون حرزا جديدا للطرواديين . فصدق

الطرواديون السذّج قول هذا الاغريقي واستعدوا لادخال الحصان الخشبي الضخم الى مدينتهم • وعبثاً حاول رئيس كهنة ابولون لاوكون ابن بريام أن يثنيهم عن عزمهم حتى خرجت من البحر حيّتان كبيرتان بوحى من الآلهة فخنقتا لاوكون وولديه وهو يقدّم الذبيحة على المذبح • وعندئذ هدم الطرواديون قسما من السور وجروا الحصان الى الداخل وقامت البهجة في المدينة كلها •

وفي الليل شاهد سينون اشارة النار المتفق عليها تسطع من جهة البحر فأخرج الرجال المحتبسين داخل الحصان فتدلوا منه بواسطة حبال ودون ضجة وتسلكوا الى الشوارع بقيادة اوليس وما لبث الاغريق أن هاجموا طروادة من الداخل ومن الخارج وسرعان ما أصبحت عرضة لجميع أنواع السلب والنهب والقتل والحريق حتى دُمّرت تدميرا ، وقتل بيروس بن أخيل الملك بريام وهو على مذبح جوبتير حتى كأن غضب الآلهة انصب على طروادة وأهلها دفعة واحدة • وظهرت لاييني روح هكطور بطل طروادة وأمره بأن يهرب مستصحبا آلهة المسكن التي يجب انقاذها مهما كلف الامر • وقد كان بودّ ايني البطل البقاء في طروادة لينتقم من الاغريق لكن أمه افروديت تدخلت بدورها وأصرّت عليه بأن يرحل فحمل على كتفيه القويتين أباه العجوز انخيس وعلى ذراعيه تماثيل الهة طروادة وأمسك بيده ابنه الصغير وخرجت زوجته كريوز تجر وراءه على اثره ذيل مرط مرحّل أو غير مرحل ، وشقّ ايني طريقه خلال الدمار والنار والانقاض ، وبعد قليل افتقد كريوز فلم

يجدها لأنها ضلّت عنه للفوضى في الشوارع وكثافة الظلام والدخان فعاد على أعقابها يبحث عنها فظهر لعينيه طيفها أي روحها التي فارقت جسدها فأخذته الدهشة حتى وقف شعر رأسه وظل صامتاً مبهوتاً .
فقالت له روح كريوز: لماذا تستسلم الى ألم جنوني أيها الزوج الرقيق ، ان هذه الامور ما كانت لتحدث لولا ارادة الالهة ، فالجالس في أعالي الأولمب لا يريد أن تصطحب زوجتك كريوز فدعني وأهرب لأن مصيرا أفضل ينتظرك عند ضفاف التيبر حيث الالهة تحتفظ لك بزوجة بنت ملك ثم تركته وغابت وهي تبكي . وتمكّن ايني من جمع عدد من رجاله وبنى أسطولا من عشرين سفينة وغادر أرض الوطن حتى جاء الى تراقيا فجزيرة كريد فصقلية وهناك توفي أبوه ودفن ، وبعد أيام ركب البحر وهبت العاصفة الهوجاء التي قذفت بأسطوله الى شواطئ افريقيا .

وفيما كان ايني يتحدث الى ديدون غرق نظرها في عيني ضيفها وهي تصفي اليه وتداعب شعر ابنه الصغير اسكاني الجالس على ركبتيها وما علمت أن أفروديت بدّلت اسكاني بإله الحب كيوبيد .

واسترسل فرجيل في سرد قصة ميل ديدون الى ايني حتى سهّدها الحبّ وكيف أفضت الى شقيقتها أنّا برغبتها في الزواج به مع أنها أقسمت على ألا تتزوج أحدا بعد وفاة زوجها سيثسه وعلى أن تظلّ أمينة وفية له بعد موته . ولما كانت قصة ديدون هذه غريبة في موضوعها عما روى عن الاقدمين من احاديث الفجور وخيانة الزوجات لأزواجهن

وقريبة الشبه بقصة اندروماخ وأمانتها لزوجها هكتور ننقلها هنا
كلها لطرافتها •

قالت ديدون لشقيقتها أنّا :

أنّا شقتي ، أيّ رؤى ترعيني وتجعلني في تردد وحيرة من أمري
- بين وفائها بقسمها أن تبقى أمينة لزوجها الذي قتله أخوها وبين
حبها الجديد لايني - وأيّ ضيف غريب هذا الذي حلّ في منازلنا ؟!
فيا للنبل الذي في وجهه ! ويا لشجاعته وبطولاته ! انه سليل الآلهة
دون شك ، وما هذا بوهم باطل في اعتقادي ! .. الخوف يكشف عن
الأنفس المنحطة ! يا للأسف ! لو لم أكن محتفظة في أعماق قلبي بارادة
حازمة لا تتزعزع منذ حبي الاول بأن لا أرتبط برباط الزواج بغير زوجي
الذي مات وتركني خائبة • لو لم أكن عائفة غرفة زفافي لربما ارتكبت
غلطتي الوحيدة • اعترف لك يا أختاه أنّا بأنه الرجل الوحيد الذي زعزع
ارادتي فتراخت عزيمتي منذ مصرع زوجي الذي قتله أخي (١٠) • لقد
تعرفتُ الى ملامح حبي القديم • فلتنشقّ الارض تحت قدمي
وتبتلعني أو ليرمني الرب الكليّ القدرة جوبتير بصاعقة من صواعقه
تودي بي الى مقرّ الأموات في عالم الظلمة قبل أن أخالف قوانينك
يا إلهة العفة (١١) • لقد ذهب بحبي أول من ربطني بمصيره فليحتفظ
به معه في قبره • قالت ذلك وذرفت الدموع من عينيها غزيرة حتى بللت
صدرها •

فأجابتها أنا : أتريدان اذن يا أغلى من الحياة على شقيقتك أن تقضي صباحك في الوحدة والسأم ؟ فلا تذوقين مسرة البنين ولا لذات فينوس ؟ أو تظنين أن الموتى في قبورهم يهتمون بهذا الوفاء ؟ أو افق على أن وطأة حزنك ما خففها عنك رجل من ليبيا ولا أحد من الذين جاؤوا قبلا من صور ، وانك رددت زعماء كبارا ولكن أتريدان حقا مقاومة حبّ يرضيك ؟ ألا تفكرين في البلد الذي حلته وحولك المدن والقبائل تناصبك العداء فضلا عن تهديدات شقيقك في صور . أعتقد أن الآلهة هي التي جعلت الرياح تقذف بسفن الطرواديين الى هنا . فأىّ مدينة وأيّ امبراطورية ستنشأ يا أختي نتيجة لزواجك بهذا الطروادي وأيّ شأن سيكون شأنها ؟ ! . اطلبي بركة الآلهة فاذا تقبّلت منك الضحايا جودي في قراك (ضيافتك) واختلقي أسبابا لاعاقة رحيل ضيوفك الطرواديين حتى يحطم البحر والعواصف سفنهم .

ومنذ ذلك الحين أخذت ديدون تقدم الذبائح للآلهة وأخذت في التقرب من ايني . وخرجت ديدون ذات يوم مع ايني وبصحبتهما عدد من الفتيان وحاشية كبيرة للصيد في الاراج ولما توغلوا في الجبال هبت عاصفة رعدية رافقها سقوط برد غزير فتشتت الرجال والتجأوا الى كهوف تقيهم ولجأت ديدون وايني الى مغارة وهناك جرى اقترانهما كما قالت ديدون .

وأقام ايني في قصر ديدون ، مثل أوليس عند كاليبسو ، فترة من

الزمن ناسياً مهمته الكبرى فأرسل جوبتير اليه رسوله مركور يذكره بها ويأمره بالرحيل فوراً قائلاً له : أنت الآن عبد لامرأة تشيد لها مدينة قرطاجة وتنسى مملكتك ومستقبلك . انك لست البطل الذي منحتنا به أمك الرائعة الجمال وليس من أجل هذا أنقذتك مرتين من سلاح اليونانيين ، فعليك أن تملك على ايطاليا وتخضع العالم لقوانينها وتستمرّ فيها سلالة توسر النبيل . فماذا تنوي أن تفعل وايّ أمل يثبّتك بين قوم من الاعداء ؟ ان ربّ الارباب نفسه الذي بمقدرته يدير السماء والارض أرسلني لأحمل اليك أوامره . فأذعن ايني وأخذ في التاهب للرحيل سرّاً .

وأدركت ديدون ما إذا يدبر ايني في الخفاء فغضبت غضبا شديدا لهذا الفراق ولما التفت به اندفعت تعاقبه أعنف عتاب لتثنيه عن عزمه فقالت له : أكنت تأمل أيها الخائن اخفاء جريمة كهذه فتغادر ارضي دون أن تقول كلمة ! ما هذا ؟ ألا يمكن أن يبقينا هنا حبا ويدانا اللتان تصافحتا وديدون المستعدة لتموت شرّاً ميتة ؟ أمنيّ أنا تفرّ ؟ بقى هذه الدموع التي أذرّفها ، بحق يدك التي لم يبق لي في شقائي من معين سواها ، بحق تعانقنا وقراننا اذا كنت جديرة بشيء منك ، اذا ظهر لك منّي شيء حسن أشفق على بيت يتداعى ، اذا كان ما زال لتوسلاتي مكان عندك أضرع اليك أن تتخلّى عن هذا العزم المشؤوم فبسببك كرهتني شعوب ليبيا والطغاة الرحل وغضب عليّ الصوريون ، ومن أجلك ضحيت بعفافي وبسمعتي السابقة التي وحدها

سمت بي حتى النجوم • فالى من تتركني محتضرة يا ضيفي ما دام
هذا الاسم هو الشيء الوحيد الذي بقي لي من زوجي • ماذا أنتظر ؟
أن يهدم أخي أسوار مدينتي أم أن يقودني العدو أسيرة سبية ؟ لو
خلّفت لي قبل ذهابك ثمرة لحبنا لكان لي ايني صغير يلعب في قصري
فتذكرني ملامحه بلامحك، لكنك قلت انك لم تخنّي ولم تهجرني تماما •

وبعد أن لبث ايني محدقاً لا يرف له طرف كابنا اضطراب قلبه
حسب أوامر جوبتير أجابها قائلاً : لقد غمرتني بأفضال لا تحصى
فيمكنك أن تعدديها دون خوف فأنا لن أنكرها أيتها الملكة ولن أمل
من تذكرك ما دمت أتذكر ذاتي وما دام فيّ نسمة حياة ، وليس لي
بهذا الخصوص سوى كلمات قليلة : فأنا ما قصدت كتمان ذهابي فلا
تفترضيه ، كما اني ما وعدت بأصرام مشاغل الزفاف ولا جئت لأرتبط
بمثل هذه الارتباطات • لو تركني القدر أتصرف بحياتي حسبما أريد
وأوفق بين مشاغلي ورغبتني لكنك اهتممت بالرحيل الى ايطاليا والاقامة
فيها : فهذا هو واجبي وتلك هي وطني • اذا كان لقلع قرطاجة ولهرأي
مدينة ليبية سحر في نظر فينيقية مثلك فلماذا تحسدين « التوسر »
على الاستقرار في اوزونيا ؟ من حقنا نحن البحث عن امبراطورية
خارج بلادنا • ان طيف أبي الغاصب يرعيني في منامي كل ليلة ، ولا
أقول شيئاً عن الاهانة التي ألحقها بابني باصاعة الملك والحقول التي
خصّته بها الاقدار • لقد أرسل جوبتير منذ وقت قصير رسوله حاملاً
اليّ أوامره • لقد رأيت بعينيّ الاله وسط نور ساطع يدخل أسوارك

وسمعت كلامه بأذني • كَفَّيْ اذن عن اثاره ألمك وألمي بشكواك ! فأنا
لا أسعى الى ايطاليا بمحض ارادتي •

عندئذ انفجرت ديدون غضبا وقالت : كلا ! ما كانت أمك إلهة قط
أيها الخائن ولا داردانوس جدكم الاعلى بل جبال القفقاس ذات
الصخور الصلدة أنجبتك ونمرات هيركانيا أرضعتك •• هل يجدي نفعاً
اخفاء الحقيقة ؟ فأني اهانات أكبر ستلحق بي أيضا ؟ أسمع له
تنهد لبكائي ؟ هل التفت اليّ ؟ هل أستسلم للدموع ؟ هل أشفق على
خليلته ؟ ماذا أستطيع أن أتصور أقسى من ذلك ؟ لا جنون العظمة
ولا أبو الالهة ينظر الى هذه الخيانة بعين العدل ، فحسن النية مفقود
في كل مكان •

لقد قَذَف به الى الشاطئ وكان في حاجة الى كل شيء فاستقبلته
أنا يالي من حمقاء ! ووسعت له مكانا في عرشي • لقد أنقذت سفنه
من الضياع ورفاقه من الموت •

يا للأسف ! ان ربّات الذعر تحرقني وتهيجني • جوبتير نفسه
يصدر الآن أوامره القطعية ! هذا هو عمل الالهة ••

اني لا أستبقيك ولا أدحض أقوالك • لا • اذهب وامض الى ايطاليا
تحت رحمة الرياح وابحث عن الممالك في المياه ••
اذا كان للعدل الالهي قدرة ما فاني أؤمّل أن تجد عذابك بين
الصخور وأن تذكر اسم ديدون كثيرا •

سأبتك بعيدة عنك بمشاعل ربة الغضب ، وعندما ينزع الموت
البارد روعي من أعضائي فان طيفي سيلاحقك في كل مكان ، سوف تنال
قصاصك أيها الشقي ! وسوف يصل صداه الى مسمعي في مقرّ الاموات
تحت الارض ! ..

ودّ ايّني لو يخفف عنها آلامها ويؤاسيها بكلمات طيبة وهو يئن
كثيرا ودموعه تنهمر من عينيه ، ومع أن حبه العظيم قد زرع كيانه
واجتاح الألم قلبه الكبير فان ارادته لم تهن وأخيرا أذعن الى أوامر
الاله ومضى الى أسطوله .. لم يئنّه تضرّع ديدون ولا وساطة شقيقتها
أنّا فيما بعد .

وأيّ شعور كان شعور ديدون عندما شاهدت من أعلى شرفات
قصرها الطروديين منهمكين في الرحيل !

أيها الحب اللعين الى أيّ مدى تهوي بالقلب البشري ؟!

وتغلب الحزن على ديدون :

« موتي فأنت للموت أهل وامحي الألم بالحديد »

وأمرت ديدون بتنفيذ محرقة كبيرة وفي الصباح صعدت اليها
وأمرت باشعال النار في الحطب ولما بلغ اللهب اليها طعنت نفسها
بخنجر وهي تستنزل غضب الآلهة على ايّني وسلالته انتقاماً منه .



وبعد أن هبط ابني الى مقرّ الاموات في ايطاليا ، حسب معتقد
الاقدمين وتصور فرجيل ، وصل الى سهول الدموع وغابة الآس التي
تاوي اليها وتختفي في شعابها أرواح الذين برّح بهم الحب في حياتهم
وما زال يضمنهم حتى بعد الموت وهناك رأى ابني بعض أولئك
العشاق وديدون تهيم في الغابة الكبيرة وكان جرحها مازال ينزف فعرفها
وذرفت دموعه ولما اقترب منها خاطبها قائلاً :

منكودة الحظّ أنت يا ديدون ! أكان صحيحاً اذن نبأ انتحارك بعد
اتخاذك قرارك الحازم ! وا أسفني لقد كنتُ سبب موتك ! أقسم لك
بالنجوم وبالألهة العليا وبكل ما هو مقدس في أعماق الأرض اني ما تركت
شاطئك الاّ مكرهاً ، ما فعلت سوى اني أطعت أوامر الآلهة التي لا
تعاكس وهي التي أجبرتني اليوم على المجيء الى مقرّ الاموات
الحالك الظلمة وما كنت لأصدق أن ذهابي قد يسبب لك حزناً كبيراً
كهذا ! قفي ولا تتواري عن نظري فممن تهربين ؟ فهذه هي المرة
الاخيرة التي يسمح لي القدر فيها بأن أراك .

لقد حاول ابني بهذه الكلمات أن يلطّف غضب هذه الروح المحتدمة
غيظاً . أما هي فقد بقيت جامدة وعيناها في الأرض مطرقة حتى بدت
كانها حصاة صلدة لم تتأثر بشيء وأخيراً تحوّلت عن ابني وانسحبت
مهرولة الى الغابة الظليلة حيث كان زوجها سيشفه الذي يتجاوب مع

اهتمامها ويقاسمها الحبّ . أما ايني فقد اضطرب لهذا المصاب
الجائر وظلّ ينظر اليها وهي تبتعد باكيةً راثياً لحالها .

- (١) فرجيل : الانبياء طبعة كارنيه اخوان ، باريس .
 - (٢) هنري اوبير : الاساطير الخرافية ص ٨٥
 - سليمان البستاني : الانبياء (ترجمة) ص ١١٦٥ و ١١٦٦
 - (٣) سفر التكوين : ٢/٦ و ٤
 - (٤) كتاب اخنوخ طبعة روبير لافونت ، باريس ص ٨ — ١١ — ١٨ — ٢٤
 - (٥) القرآن : السورة ١٦/٢٣ و ١٩ (وجمتوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انانا)
والسور ١٠٠/٦ و ١٤٩/٣٧ و ٢٩/٥٢ و ٥٧/٨٦
 - محمد عزة دروزة : القرآن المجيد : الملائكة والجن ص ١٨٥
 - علي الجندي : الجن بين الحقائق والاساطير ج ٢ ص ١٦٧ و ١٦٢ و ١٧٦ و ج ١ ص ٢٢
 - (٦) الشيخ محيي الدين بن عربي : ترجمان الاشواق طبعة صادر ص ١٥
 - (٧) هوميروس : الانبياء طبعة كارنيه غلاماريون
الانبياء ترجمة سليمان البستاني
 - ر. لا ليه و ه. لانتوان : دروس في الانب اللاتيني ص ٨٧ و ٤٥ و ٤٧ و ١٢٢ — ١٦٩
 - (٨) خليل مطران : المختارات ص ٢٢١
 - (٩) هيرا (جونون) هي امرأة جوبتر واخته (معجم الاساطير لسيفريس ص ١٨٦ و ١٥٧)
والانبياء ترجمة سليمان البستاني ص ١٢٥ .
 - (١٠) عنبرة الخالدي : فرجيل ، الانبياء (ترجمة) ص ٨٥
- تقول عنبرة ان سيثس (سيخوس) زوج ديدون قتله « اخوه » في حين ان القتال هو

شقيق ديدون فكان عليها ان تقول « اخيك » والادبية عنبرة في ص ٨٦ تنقل قول شقيقة ديدون : « انكري اخاك في صور وسوء عمله نحوك » وسمى احمد الكسراوي سبشه عاشرىاس .

(١١) كان في روما لالهة العفة « ايلوس بودور » هيكلان وما كان يعبد تلك الربة سوى النساء اللواتي لم يتزوجن الا مرة واحدة .

(١٢) ديدون بنت ملك صورماتان حفيد ايتوبعل، خلعت عن العرش فهاجرت الى قبرص ثم الى شمالي افريقيا حيث اسست مدينة قرطاجة نحو عام ٨١٢ ق.س ذكر فرجيل في انبالته ان ابني مر بمدينتها فاستقبلته استقبالا كبيرا وكلفت به ولما تركها قتلت نفسها على محرقة . وديدون تدعى ايضا اليسا او اليسار كما في اعلام المنجد وفي مقدمة « قرطاجة » لشكر الله الجر وسهاها عليه احمد الكسراوي في روايته (ابطال من بلادي) وكذلك احمد المختار الوزير في مسرحيته الشعرية وقد سميت باللغة اللاتينية ديدو واليسا Elissae وبالفرنسية ديسدون وهو لقبها .

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

رؤيا العزبي الأخيرة لايتيل عدنان

بقلم: د. نذير العظمة

صدر للشاعرة إيتيل عدنان عن دار بابيروس في باريس قصيدتها المطولة بعنوان رؤيا العزبي الأخيرة ستون صفحة باللغة الفرنسية ، وهي قصيدة طويلة تبدأ بالكلام عن الفاجعة اللبنانية شمسها المتشكلة دماً وسماً وبحراً وفصولاً وتنتهي بالحضارة العربية الواثبة من رحم التاريخ فرساً أصيلة لايلجمها الشوط رغم زحام الرهان وتنافس الأمم والحضارات ..

إيتيل عدنان لا تتكلم عن الحداثة ولا تنظر في التجديد وهي براء من عقدة التراث والاصالة ، ذلك لأنها في شعرها تنظم الماضي والحاضر والمستقبل في سلك رؤياها الشعرية النافذة ، وتلائم الحداثة والتراث كما تلائم التراث والاصالة فيأتي شعرها نبعاً متفجراً من القلب الذي يخفق في صدر التاريخ وطائراً فينيقياً يحترق في صدر الوطن ليحيل رماده الى نار وبركان يتفجر من معاناة الانسان في غرب الحضارة حضارة تهاجر من نبضها وتغترب عن ينابيعها الرثة وتنفي نفسها بنفسها

عن ينبوع الحركة وروح اللهب وهي منذ فجر التاريخ الجلي معطاء
أرضاً وتراثاً وحضارة •

إيتيل عدنان تشعر ككاتب ياسين الاديب الجزائري المبدع ، أن اللغة
الفرنسية عندها رغم جمالها في السكب والقها في العبارة ونفاذها في
الصورة ونصاعتها في الديباجة لم تغرب روحها عن الجذور ولم تعط
لنبضها شغافاً فرنسياً •

لقد ظلت إيتيل عدنان محتفظة بالجرم الذي حملته معها منذ الطفولة
الى مدارس الراهبات التي سرقت لسانها ولم تسرق قلبها الشاعر
ولهبها المحيي من الصدر والرحم العربيين • فاللغة قفصها المفتوح
بجدرانها وقضبانها للانقراض على العالم من غار النفي ولتفرس
بالرؤيا الملتهبة برودة المأساة العربية التي تنسج على الانوال الغريبة
وفي عتمة المصالح والارادات الغريبة •

وإيتيل عدنان لاتشغل بالها بمصطلحات الالتزام والالتزام لانها
تمارس الحياة وتخرقها بالشعر رغم شراسة الشروط شروط الوجود
التي تفرض على انساننا من الخارج أغلب الاحيان ويفرضها هو نفسه
على نفسه بقبولها واعتناقها •

هذه المرأة النادرة التي يخرج صوتها حمامة بيضاء من حنجرة التاريخ
والوطن لتستقر في قلوبنا الجريحة بلسماً شافياً تمسح بريش أجنحتها
عيوننا الرمداء من دخان المصالح الفئوية التي تتأكل وجودنا القومي
فتأتي الشاعرة لتمتشقنا من ركام المعارك الجزئية الى ميدان الساحة

القومية ، فالعراك في رؤياها كما هو في الواقع ليس طائفيا ، والعراك ليس سياسيا ، والعراك ليس اقليميا كيانيا . انه عراك حضارة لتحل محل حضارة . انه عراك أمة مبعثرة تائهة لتحل محل أمة راسخة عريقة . انه عراك تاريخ مرتحل ليحل محل تاريخ مقيم راسخ . والشاعرة عدنان تقف على عتبة هذا العراك لتسبر أعماقه وتكشف أغواره وتفضح جوانبه ومصاحباته . انها تخرق بالعين النافذة كمدية حادة لحم الحقائق المحسوسة لتصل الى أم الجريمة .

لذلك لا يستغرب القارئ كيف أن الاوساط الصهيونية في الغرب - أوروبا والولايات المتحدة - شنت عليها حملات مشوهة واتهمتها أنها ضد السامية خاصة بعد أن نشرت ترجمة قصيدتها « جبوس » .

هذه القصيدة التي كتبها أصلا باللغة الفرنسية وترجمتها الى الانجليزية ونشرتها تغريس (Tigris) في مجلة للشعر كانت تصدر في سان فرانسيسكو ثم توقفت بعد نشر القصيدة لحجب المدينة مساعدتها المالية عنها ...

وجبوس - كما في التوراة - هو الكنعاني الذي بنى مدينة القدس ثم جاء بعده العبرانيون ليسرقوا المدينة وتراثها وتاريخها . وجبوس هو الانسان الذي يتقمص الحضارة أو تتقمصه هذه الحضارة ، فهو مرة جبوس ومرة جلقامش ، ليعبر كل العصور نسفاً محيياً ودماً مضيئاً في شرايين هذه الامة التي ما يزال المؤرخون الاعداء يحفرون لها القبر تلو القبر وماهم بدافنيها طالما أن هناك شعراء يضيئون عتبات التاريخ

وشهداء ينزلون عن صلبانهم لينزلوا بالرفش على رؤوس حفاري القبور ،
وشهداء ينهضون من تحت الرصاص صدوراً جديدة ثقبوها براعم
وجراحها شفاه طفولية تهتف للحياة وتغرد للمستقبل الذي لا مرد
لشمسه .

وكما أن الشاعرة إيتيل عدنان اتهمت باللاسامية في الاوساط
الصهيونية العالمية بأنها خسرت بعض قرائها بالفرنسية من اللبنانيين
لأنها في كتابها « الست ماري روز » (باريس ١٩٧٨) فضحت تركيبة
المأساة اللبنانية في الحرب الاهلية الاخيرة وأضاءت شروطها وظروفها
الحقيقية ، لذلك تحالفت عليها الميول وتصالحت عليها رؤوس الغول .
كما أنها في قصيدتها « قطار بيروت السريع الجحيم » تنبأت بهذه
الكارثة اللبنانية قبل أن تقع ، نشرتها في (باريس ١٩٧٣) . انها
كالعرافة الممتلئة بضوء الرؤيا أبصرت صورها ورموزها التي تسعى
في زوارب بيروت ، شوارعها وساحاتها قبل أن تسعى .

انها تخرق بهذه الرؤيا الرموز والصور لتصل الى المقتل الصراع .
انه صراع على الخبز اليومي وشرف الوجود . انه صراع ضد الاحتكارات
التي تقمع الانسان والحضارة . انه صراع ضد المنتجين فكراً وغللاً
وصناعة . انه صراع شمس الاستعمار الافلة التي تتشبث بالوجود
وتعيش على امتصاص دم الشعوب وخيراتها ، انه صراع الانسان في
بنيته الاجتماعية وهيئاته البشرية ضد الاقطاعات الزراعية والطائفية

والمالية • انه صراع الشعر والحق والخير والجمال ضد الشر الزاحف
ليقتل حقول الحنطة وقلوب الاطفال وسواعد العمال وقصائد الشعراء
فلا يبقى بعده انسان ولا تقوم حضارة ، هذا هو جوهر الصراع فليعلم
من تشغله الصورة عن الحقيقة •

جلقامش سوف يأتي ويغمد سيفه في جباه المغتصبين •• هذه هي
رؤيا الشاعرة العرافة التي يلقي شعرها الهلع في قلوب العدو •

لانهم يدركون أن المعركة هي معركة الفكر قبل كل شيء ، هي
معركة الثقافة التي تكبس على الزناد • وقصائد ايتيل الثلاث: جبوس
- قطار بيروت السريع - جهنم • ورؤيا العربي الاخيرة ، تكبس الزناد
لذلك ترجمت الاولى وستصدر في مجلة « الاداب الاجنبية » في دمشق ،
كما ترجمت الثانية وستصدر في مجلة المعرفة • وأنا عاكف على ترجمة
القصيدة الثالثة •

ايتيل عدنان ليست شاعرة سياسية ، انها تتجاوز السياسة وليست
شاعرة كيان • انها تتجاوز الكيانات •

انها خنساء القرن العشرين التي لا ترثي أخاها صخرًا لان الانسان
جميعاً يستأثر بقلبها ••

انها ليست خنساء القبيلة ، كما أنها ليست خنساء المدينة ، ورغم
انها كثيراً ما تقرن وهج الاندلس بالجراح الفلسطينية في قصائدها ،

ورغم أنها تمتلئ كبرياء بشهداء الارض القومية .. وانجاز الفكر من
تموز جلقامش الى الحلاج والغزالي وابن سينا ، الا أن الانسان ..
حضارة الانسان التي انبثقت من الفرات ودجلة ، من النيل والقدس
وبغداد ومارب ومكة والمدينة ، هي التي تحرك الحجر في صدرها ورؤياها ..
لذلك فهي شاعرة تنبثق من أكثر التراثات أصالة وحضارة ، تنبثق
منه ولا تنفصم رغم لغتها الغريبة ..

ان مضمون شعرها الحضاري يعطي جاذبية لرؤياها الشعرية ، كما
أن قدرتها على الرمز والتضمين الاسطوري يعطيها أبعاداً غنية ويكسبها
لغتها صفة عالمية متميزة ..

ومع أنها تأخذ رموزها من الميثولوجيا السورية وما بين النهرين ،
وتستعين بالمصادر العربية والاسلامية في تشكيلها الشعري وتضمينها
الابداعي الا أنها بتداولها مع التراث منذ فجر التاريخ الجلي تضع يدنا
على امتداد المتسع في الحاضر والمستقبل ، فهي لاتئن ولاتأوه ولا
تبكي بل تصدح بوقفاتها العرافة والنبوة تشع من عينيها أن التاريخ
ليس قبراً لهذه الحضارة .. انه منطلقها .. والموت ما هو بنهاية لها ..
انه بداءة وجسر ..

ورغم أن ايتيل عدنان تتعامل مع الرموز التمزوية الا أنها لا تقترب
منها اقتراب الشعراء التمزيين ومعاناتها تنبع من واقع الحضارة
ومأساتها .. فهي لا تنطلق من الرموز المجردة الى الواقع بقدر ما ترتفع

من الواقع الى الرمز ، كما بنية قصائدها الفكرية والنفسية والفنية
لا تقوم على تقابل الحياة والموت كما هو الحال عند التمييز بل هي
تزامن حركة التاريخ وتنطلق منه انطلاقاً أسطورياً .

ترافق الحاضر وتتجاوزها الى رؤيا المستقبل .

تعانق الواقع وتجنحه بالاسطورة والرمز .

انها تعطي الركاب والانكسار زمن الخروج بين المخاض والولادة ،
وتنتقل من الكياني والاقليمي الى القومي والحضاري .

ومن الآن الى الانسان والكون .

مما يكسب شعرها هديرًا ملحمة حيث يتوسل الواقع بحركة التاريخ
والتاريخ بعصب الفكر والفكر ريش الاسطورة ولهب الرؤيا الشعرية .

التموزي يسافر في جزر الموت ليكون امتداد الحياة ، مجرد ويلعب
لعبة اللغة لعبة الرمز لعبة الاسطورة . أما الشاعر الجلقامشي فهو الذي
يتصدى للنين ليصرعه بالرمح ، الشاعر يمتطي صهوة التاريخ ويتمكن
منها ، يمتطي نهر الواقع ويقوده في خط الحضارة وعمقها في ديمومتها
وامتدادها فلا مجرد ولا يتعالى بل ينغمس انغماساً كلياً في تراب الوقائع
الجارية ويخرج منها طائر النار الذي لا يموت .

ولانها رسامة وشاعرة فهي تعبر من الحواس الى النفس لا من
الفكر الى النفس كما هو الحال عند التجريديين في الشعر ، لذلك يأتي

شعرها مسربلا باللهب ورموزها متوهجة بالنبض وتخاطب صورها العين أكثر ما تخاطب السمع •

في قصيدتها « رؤيا العربي الأخيرة » تتوسل الكلمة كما تتوسل اللون لا يصل كلمتها الشعرية ، تلجأ الى العبارة كما تلجأ الى الخط والاشارة لتنقل الى القارئ ما يعتلج في صدرها •

وتلتقي في دمشق آرام وبائس كنعان وكبرياء بغداد في رحلة جلقامشية ملحمة وترمي التنين الزاحف بضربة الخصر المسددة ورؤياه التي لا يخذعها تعداد الرؤوس وتحولها •

ويتجلى أسلوبها أكثر ما يتجلى في رؤياها الحضارية المتوهجة فتخرج من وجع الرثاء والرماد الى حلم القصيدة الملهب ، ومن مخاض المعاناة الى صراع الولادة الضوئية ومن غناء العرافة الى ملحمة البطولة وانشادها لشاعرة نبية تقف على عتبة المستقبل بحنجرة متميزة •

نموذج مختار من رؤيا العربي الأخيرة

ترجمه من الفرنسية د. نذير العظيمة

انني نبي أمة لا فائدة منها قف مريضة في المخيخ

سموحالا سموحالا سموحالا تيكوماتا تيكوماتا تيكوماتا •

• أسنان لزميين من الهنود الحمر •

انني قناص ذو الشعر الملزق على السوالف قف
انني برتقالة مجمدة اكبر من أنف رؤساء الجمهورية
كل جرح ميت وبيروت جثة على هضبة من العملة

الشمس مسافر ينفخ في جذوع القش

يشرب ليموناضة مبردة في أزقة مقبرة

للشمس ذكر مزين بالاشربة قف

أنا الارهابي المختبئ في قعر بضاعة أرجنتينية

الشمس هي سمك القرش الذي يتبع مخلصاً سفن الاوريفغوي

انني القاضي الجالس على كل آلة حاسبة تصيح الحرية الى متى ؟

الشمس في كل يوم درج بيروقراطي توزع الساعات

والمحكومون ذوو الاسنان البيضاء يجرون أقدامهم حتى نبع الدم

في رائحة الجيف المنسية من خدمة صناديق الزباله ترقد الشمس

بينما تتنفس النباتات •

يقول الراديو لقد منح التاريخ عشرة بلايين من السنين للشعب

الشمس التي استهلكت نصف حياتها
شمس الصباح شمس المساء أنت نقية أنت نقية
الشمس المسرّجة بأكياس الغيسرين الشمس انفجرت
الشمس فرّغت الصيدليات الشمس تتنزه في الصحراء
الشمس الملأى بالمخدرات لتركب جرائمها على الروابي
انها تتخدر

الشمس تنحت المئالك البيطون الاقدام والادمغة
والاشجار حتى حبات الرمال تتفجر
بيروت تترنح في قلب الشمس النشوة تدمرها
اننا آتون مع الشمس في محل الوجه المحمول على جذع شجرة
والاعمدة المقطوعة الرأس تبكي نسوة بابل تذبح
التاريخ يدفع متسرّع قدرته حتى النهاية
القرى تتساقط كالذرات والورود هي محركات آلية
الشمس فرغت باحات البيوت شربت ماء الينابيع
قلقامش يتلظى بالجدران الحقول ترفض أن تلجئ السنابل

الشمس تتبوا ضفاف نهري العاصي ودجلة الى الابد
قلقامش يعود على طائرة ليروينا من النفط
ها قد غسلنا العيون في الجحيم الشمسي
عمي هم الملوك العرب يجأرون في ليل الرمال
الشمس ريح أبدية أصبحت مجنونة في صباح حبها الاول
بودلير المرتزق الشمس الابجدية تخرج من أوغاريت ملكة بابل
الشمس أميرة الكلمات قف حليقة الكلمة قف
شمس صفراء كلمة شمس تتوقف في حلقى
بين نهري دجلة والفرات تهتز الشمس على الارض
داخل نهر الموز واسبانيا شمس صفراء تتذكر
الكلام مصنوع من مواد شمسية قف بو بو بو
بودلير مرتزق يبيع كلماته للقبائل الشمسية كأنها رصاصات
شمس تعرف الرجال الشمس كلمة تحملها أصابعنا
شمس : فيالق من الشعراء تظهر القوة الهابطة من الكلمات
حلقات فسفورية تقيد الكلام على شجرة الشر

شمس صفراء شمس زرقاء شمس سوداء دائرة الكلمة احترقت قف

بودليز المرتزق قاتل جيراردو نرفال ❖ قف

شمس ابن سينا جلاد الحلاج مرمي على مجارير الاندلس

الشمس تتعري من كلماتها في ظفار لسفر كوني

انها تمطر على البحر قف الاسماك تفتح مظلاتها لتحميه من المطر

انها عنات انها عشطار انها ايزيس انها أفروديت في البحث عن

الشمس الذكر

الشمس قامت على ذراع رطبة قف لقد ولدت في مدينة ميتة

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

الاسماك تأكل الجثث المنحدرة من الجبل

على حنين الشمس تبكي قف دموعاً من الرصاص والنفط

الشمس جمره حمراء وزرقاء في شريان المدينة تضحي حملاً •

❖ شاعر فرنسي من شعراء الرمزية زار الشرق وأصيب بالجنون لفرط حساسيته •

❖ آلهة الغضب والحب والجمال تباعا عند السوريين والبابليين والمصريين واليونان •

الرّومنتيكيّة والقصّة

ترجمة: ربيع علاء الدين

لا شك بأن القرن التاسع عشر كان العصر الذهبي لتطور القصة الفرنسية • وقد لا تكون دراسة هذا النوع الادبي وافية ما لم نعد الى القرن الثامن عشر لالقاء نظرة سريعة على التيار الكلاسيكي ، وقد نكتفي في هذا البحث بدراسة القصة الرومنطيقية في فرنسا على أن نكمل البحث في القصة الواقعية والطبيعية في بحث متصل •

مع طغيان الكلاسيكية في القرن السابع عشر ومبادئها المعروفة (١) • تأثرت القصة بهذا الاتجاه وخاصة بأعمال راسين (أندروماك - هوارس - فيدر) وبعظمة أبطال كورناي •

الا أنها بقيت متخلفة في الصفوف الخلفية من الاجناس الادبية الاخرى •

لكن الفن القصصي في القرن الثامن عشر بدأ بالتحول والاهتمام بالناحية النفسية والاجتماعية للفرد ، فأخذت القصة تدافع عن المذنبين

وتبحث في قضايا المجتمع وحقوق الطبقات الوسطى .

لكن هذه الاتجاهات ستتبلور أكثر وستأخذ حجماً كبيراً مع الحركة الرومانتيكية الواقعية والطبيعية خلال القرن التاسع عشر وستظهر في سماء القصة أسماء كتّاب كبار في تاريخ الأدب العالمي .

فمع تراجع الكلاسيكية كانت الحركة الرومانتيكية الجديدة تتقدم الى الامام بالرغم من أصوات المؤيدين للكلاسيكية وعلى رأسهم (بوالو، وريارول) .

كانت الحركة الرومانتيكية حركة ثورية وتجديد في مختلف الاجناس الادبية ، بينما كان الكلاسيكيون دعاة الالتزام والقيود ، فجاء الرومانتيكيون ليحطموها . فيعلن هيغو زعيم هذه الحركة « الحرية في الفن » بعد أن قيدها الكلاسيكيون .

وقد لا نستطيع أن ندرس هذه الحركة في فرنسا فقط ، فالرومانتيكية ليست حركة فرنسية وحسب بل هي حركة أوروبية ، وقد لعبت ظروف داخلية وخارجية في خلق هذا التيار .

مع مدام دوستيل وشاتوبريان دخلت الرومانتيكية الى فرنسا . فمدام دوستيل كانت أولى الداعين لها ، بما نقلته من أفكار ثورية في الادب والنقد وحملتها الى فرنسا من ألمانيا ، كأفكار غوته وشيلر وغيرهما . أما شاتو بريان فلقد كان بغنائيته وولعه بالخيال ووصفه لكآبته أباً

للارومانيكية ، وان كنا لا نذكر نتاج روسو والافكار والمشاعر التي نشرها فكانت بمثابة البذور الاولى لهذا التيار الادبي الجديد .

والكلمة « رومانتيكية » ليست فرنسية وليس لها مدلول واحد وقد لا تستطيع أسطر قليلة أن تعرف هذه الحركة الكبيرة التي قلبت مفاهيم عديدة ، وحملت معها أفكار التحرر ومطالبة الناس بحقوقهم وجعلت الادب صورة لآمال المجتمع .

فالحركة الجديدة كانت حركة معارضة للمبادئ الكلاسيكية وقد لا تتضح لنا معالم الرومانيكية مالم نقارنها بالاسس الكلاسيكية .

مع الكلاسيكيين كان العقل في المرتبة الاولى فهو المسيطر عندهم ، لذلك جاءت كتاباتهم عامة ، فهم يكتبون عن كل ما هو عظيم ومشترك . وان كتبوا عن العاطفة والشعور ، فهناك حدود ودوائر لا يجب تخطيها .

أما الادب الرومانيكي فجاء لينسف هذه المبادئ وينكر تسلط العقل على الكاتب والشاعر ويطلق العنان للعاطفة والشعور . وبينما كنا نتحدث عن العقل عند الكلاسيكيين بدأنا بالتحدث عن القلب عند الرومانيكيين . فالقلب هو مصدر الوحي والالهام عندهم . بينما كان المثل الاعلى للكلاسيكيين أعمال القدامى (اليونان - الرومان) منهما يستلهمون موضوعاتهم وأفكارهم جاء الرومانيكيون ليحطموا هذا التقليد ويجعلوا من أدبهم « أدب الأنا » فمادة الكتابة عندهم هي حياة الكاتب وتجاربه وأحاسيسه المختلفة وذكرياته ، وليس نتاجهم

إلا مرآة لعواطفهم ومشاعرهم • فلا قيود على أحاسيسهم ولا حدود لأذواقهم ومفهوم الجمال عندهم ذاتي يتعدى الحقائق والخطوط التي قدسها الكلاسيكيون وداروا في أفلاكها • يقول « روسو » :

« كنت أنهض مع الشمس وكنت سعيدا • وكنت أتنزّه • وكنت سعيدا ••• كنت أقطع الغابات • وأتبه في الوديان وأقرأ •••• كنت عاطلا عن العمل ، أعمل في الحديقة وأقطف الاثمار ••• وكانت السعادة تلاحقني أينما حلت • »

كان الكلاسيكيون يهدفون في كتاباتهم الى اعطاء درس أخلاقي من خلال أعمالهم • فالسرح عندهم كان مدرسة أخلاقية :
(الانتصار للواجب على الحب في مسرحية « السيد » لكورنيه •)
وابراز قبح الرذيلة وتهور العاطفة : (« أرميون » في مسرحية أندرومك لراسين) •

لكن الرومانتيكيين لم يهتموا بهذه القواعد وأظهروا كل ردات فعل العاطفة • بالاضافة الى ما ألفوه وأظهروه في مختلف الاجناس الادبية •
كان الادب الكلاسيكي محتكرا على فئة خاصة من الناس ، هي الارستقراطية • لذلك تقيد الادب والادباء بهم • فكانوا يؤمنون بسلطاتهم الإلهية • وربطوا بين السلطة والدين •
أما الرومانتيكيون فكانوا من عامة الشعب لذلك دعوا الى التحرر

والثورة ، ودافعوا عن حقوق الشعب وخاصة الطبقة البورجوازية وكان عمل أكثرهم في السياسة كشاتوبريان ، ولامارتين ، وهيفو ، وغيرهم .
والرومنتيكي يتعلق بالعاطفة والشعور فكان يسرح في عالم الخيال والحلم . روسو أول من سار في هذا الاتجاه في اعترافاته وأحلامه .

وتبعه الآخرون في الانطلاق بالخيال والاحلام في جوف الليل وصمته الرهيب . وبالتطلع الى عوالم جديدة وهذا ما عبر عنه روسو : « كنت أحب أن أغيب عن نفسي سابحاً بخيالي في الفضاء . وكنت أشعر أنني أختنق في حدود هذا العالم فأتمنى لو انطلقت في اللا نهاية » .

ومادام الرومنتيكي يحلم وينفيل فلقد أفصحت الصورة عن كثير مما يختلج في نفسه من أفكار وآمال . يقول شاتوبريان في « مذكرات ما وراء القبر » : (من المسرات التي كانت تفرحني كثيرا هي مغالبة العواصف فآلعب على الشاطئ مع الامواج التي تتراجع أمامي أو تركض خلفي) .

ولكثرة أحلامه وتأمله لذاته كان الرومنتيكي يحب الوحدة والانعزال في قلب الطبيعة حيث يحس بالنشوة والسعادة . يقول روسو : هناك وأنا أتنزه كنت أقوم بالصلاة فلا أتمتم دون جدوى بل تسمو روحي نحو الخالق في هذه الطبيعة المحبوبة حيث يمتد جمالها تحت ناظري . فلا أتضرع في غرفتي ، فأنا أظن أن الجدران وأعمال الرجال تقف بيني وبين الله . فأنا أتأمل الله في خلقه بينما يسمو قلبي اليه .

حيث كنت تجدينها جالسة •

والذكرى تلاحق روسو أيضاً في (الهليويز الجديدة) حيث يصف لقاء
الحبيين عند بحيرة بلان • وكذلك هيفو يثير هذا الرمز في (حزن
المبيو) •

والدعوة الى الحب عند لامارتين مقرونة بالتعجل • يقول لامارتين في
كتاب التأملات : فلنحب فلنحب اذن ! فالزمن يمضي فلنسرع ونستمتع!
أيها الزمن - أوقف طيرانك ... فالفجر يبدد الليل •

فلا مارتين يردد فلسفة ابيقور الذي يدعو الى التمتع بالحياة قبل
فوات الأوان •

والحب عند موسيه ذكرى الأيمة قد تفوق السعادة (ليلة أوكتوبر)
فالذكرى السعيدة ربما تكون على الارض أصدق من السعادة •
وبيزيد : كنت أقول لوحدي : في هذه الساعة ، وفي هذا المكان ، وفي يوم
ما أحببت ! أحببت ! لقد كانت جميلة

دفنت هذا الكنز في نفسي الخالدة وحملته الى الرب »

والحب أيضاً يثير الألم عند « موسيه » : « أحب وأريد العذاب - أريد
أن أحس على خدي فيض نبع من الدموع لا يمكن أن يفيض »
« وموسيه » نفسه يقول : « لك أن تشك في الكائن الذي تحب في

المرأة أو الكلب ولكن لا في الحب نفسه « (القصائد الكاملة) • والحب عنده مصدر الالهام : « ما يدعو الانسان بالعبقريّة هو الحاجة للحب » و « هيفو » يقرن الحب بالعمل ويجعل الحب مبدأ حياة الكائنات • والحب كذلك محور العالم : « الله وجهه نور ليس له سوى اسم » هو الحب « وإذا خلا الكون من الحب انطفأت الشمس » •

مع الرومنتيكية كانت العودة الى الاحساس الديني فالرومنتيكيون كانوا يريدون السمو بأرواحهم لذلك جاءت أغلب عناوين كتبهم تعبير عن هذا الاتجاه • فالرومنتيكيون كانوا يجدون الله في أصغر الخلائق وأكبرها • ولكنهم كانوا حاقدين على ممثلي الكنسية الذين كانوا يتعاونون مع السلطات الظالمة والملوك • وكان لبعضهم أيضاً بعض الآراء المتطرفة وخاصة (فيني) و (شاتوريان) يكتب « العبقريّة المسيحية » ويصف محاسن الدين المسيحي • فالإيمان يكون بالقلب كما يقول هيفو •

والذي شغل الرومنتيكين كان مسألة الشر والخير والثواب والعقاب • يسأل الادب الرومنتيكي عن الابرياء المظلومين الذين يلاحقهم الشر بدون ذنب • ولقد عني هيفو وفيني بهذه الموضوعات • وقال هيفو : ان الشر هو طريق السمو • وان الجريمة هي ابتعاد عن الله •

وفيني في قصة (دافنة) DAPHNE التي ظهرت عام ١٩١٢ •

يرى أن الدين المسيحي مسؤول عن الحزن والظلمات • والافاضة في هذا الاتجاه تخرجنا من دائرة البحث ولا تعيننا كثيرا •

ولقد غلب على الرومانتيكيين شعورهم بالحزن والكآبة • فعبروا عن هذا الشعور طويلا • فالرومنتيكي انسان متألم يرى من الحياة الجانب الاكثر سواداً وحزناً • فهو يرى نهاية الاشياء في بدايتها ويرمز الى قصر الحياة الانسانية « شمس أيامنا تغرب عند طلوع الفجر » (شاتوبريان) •

وقد يصدر الألم عندهم عن أمور كثيرة - من الضجر ومن فراغ في الروح ، ومن فقد القريب وفقد الحبيب • من الحب ومن الخيانة • من الظلم ومن انهيار الآمال والحياة القصيرة •

كان « موسيّه » شاعر الألم بلا منازع • فبقدر ما كانت طموحاته وسعاداته كبيرة في حب « جورج صاند » كانت خيانتها له عاصفة صاعقة في حياته جعلته يتألم ويصبغ أغلب شعره بألوان قاتمة سوداء تنزف ألماً وجراحاً لا تلتئم •

والذي يقال هنا أن شعوره بالافخاق وخيانة « جورج صاند » له جعلت منه شاعراً بكل معنى الكلمة : « لا شيء يجعلنا عظماء الا الألم (ليلة أيار) فالألم هو الذي يعطي الشعر قيمته الانسانية ، والشاعر انما يكتب بقلبه واحساسه وبدون أقنعة • يقول موسيه في ليلة أكتوبر ••

« كلما كانت أغانينا أكثر حزناً كلما ازدادت جمالاً »

كيف تعرف نفسك ؟ يسأل موسيه ويجيب :

« لا أحد يستطيع أن يتعرف على ذاته بدون أن يتألم »

وقبل مماته كان يقول :

« الخير الوحيد الذي تبقى لي في هذا العالم هو انني أستطيع أن

أبكي بعض الاحيان » •

وشاتوبريان في (رينه) يثير كآبته بما يدعوه مرض العصر ، فكان

يسافر ويسترسل في أحلام اليقظة هرباً من هذا الفراغ الروحي • وكان
يحب غروب الشمس ومناظر الخريف :

<http://Archivebeta.Sakhrnt.com>

« كنت أنتظر بفرح لا ينتهي رجوع فصل العواصف » •

وهيغو يمتلكه الحزن الشديد لفقدان ابنته (ليبولديت) فيريتها

شعراً يتقطر بالآلم والحزن • فيطلب من الله : - اتركني أبكي - للأسف

أترك الدموع تسيل من جفوني - فلقد صنعتها لأجل ذلك -

والفريد دوفيني يدعو الى تحمل الآلم والموت بصبر وبدون صراخ

ففي قصيدة « موت الذئب » • يروي قصة ذئب تحيطه بنادق الصيادين

وتمزقه الطلقات وتطعنه السكاكين ويبقى صامداً « ينظر الى الصيادين

ثم يتمدد ويلعق الدم الذي انتشر على فمه ، يغلق عينيه ويموت دون

أن يطلق صرخة واحدة »

فالشاعر هنا يلجأ الى قصة رمزية يظهر لنا من خلالها موقف الذئب البطولي . وهذا الموقف البطولي التحملي هو فلسفة (زينون) لكن الشاعر هنا تأثر بكتابة « بيرون » .

الحياة والألم تضرب بجذورها العميقة القلوب الوحيدة والكئيبة فالجمل يحمل أثقل الاحمال دون أن يتذمر والذئب يعرف أن يموت بصمت ..

وفيني يطلب من الانسان أن يتمثل بموقف الذئب الذي يقول في آخر القصيدة : وبعد مثلي تألم ومِتْ دون أن تتكلم - الصمت وحده هو العظيم وغير ذلك هو - ضعف -

والرومنتيكي بحكم ما عرضناه يحب العزلة . يقول رينه عند شاتوبريان . « كان رينه يحيا مستغرقاً في ذات نفسه كأنه خارج ما يحيط به من عالم لا يكاد يرى ما يحدث حوله . سجين في وسط آلامه وأحلامه ، وفي هذا الضرب من العزلة النفسية كان يزيد في شراسة طبعه ووحشيته كلما تقدم به الزمن ، فكان ينفر من كل نير ويضيق بكل واجب ويثقل عليه ما يبذله غيره من أنواع العناية »

« ولا يريد الا أن يضرب في الارض - لم يبح بما صار اليه ولا أين كان ذاهب . انه لا يدري هو نفسه : أكان فريسة الندم أم العاطفة ! أكان على فضائل أم على رذائل ! هذا ما لا يعرفه أحد . ويمكن أن يعتقد المرء فيه كل شيء إلا حقيقة ذاته » .

هو الصورة لبطل قصة شاتوبريان ترسم لنا نفسية البطل الرومانتيكي الذي يعيش في غربة عن مجتمعه يرفض الظلم ولا يحب العمل مسافر بلا وجهه ولا يعرف الا نفسه المستغرقة في دائرة من الوحدة والانعزال •

والرومانتيكي يحلم بأن له رسالة في المجتمع الذي يعيش فيه فهو بخياله وبحدسه للمستقبل يستطيع أن يرسم الطريق السعيد للشعوب • فهيغو يرى أن الشاعر أو الكاتب هو كالرسول الذي يضيء الطريق لإسعاد الشعوب •

بعد هذا العرض الموجز لأهم القضايا التي شغلت هذه الحركة الجديدة ، نتوقف لدراسة آثارها على الأنواع الأدبية •

كان للشعر والمسرح والنقد النصيب الأكبر في هذه الحركة • أما القصة فلقد شهدت بعض التطورات المحدودة مع الرومانتيكيين • لكن مكانتها المشرقة والحقيقية ستجدها مع المذهب الواقعي والطبيعي •

ارتبطت قصص الكتّاب الرومانتيكيين بحياتهم فأنت قصصهم وصفاً لسيرة ذاتية ، ولقد عرضنا لبعض النماذج أثناء عرضنا لهذه الحركة •

وإذا كان هنالك بعض الأبطال فانهم ليسوا الا عبارة عن شخوص يختفي الكاتب وراءها •

وحتى الكتاب الواقعيين وبالرغم من الموضوعية التي أخذوا بنهجها
في كتبهم وقصصهم فلقد ظلوا يدينون للرومنتيكية بالكثير •

« فراستيناك » عند « بلزاك » و « جوليان سورال » عند « ستندال »
و « مدام بوفاري » عند « فلوير » •

كانوا يمثلون الى حد بعيد نفسية هؤلاء القصاصين، وسنتوسع في
دراسة هذه النقطة عند عرض آثار الرومنتيكية في المذاهب الادبية التي
خلفتها هذه الحركة •

نستطيع أن نميز من القصص الرومنتيكية ، القصص الشخصية
أو ادب المذكرات :

وهذه القصص عبارة عن تاريخ حياة أو وصف لسيرة ذاتية اذا
أمكن القول •

ومع أننا أطلنا القول في مفهوم الذاتية الادبية التي تميزت بالعاطفة
عند الرومنتيكيين فلا ضرر من الرجوع الى القصص التي ظهرت في
هذا النوع •

فأعمال روسو كانت تحمل بذور الرومنتيكية وتصب في هذا الاتجاه
وخصوصا « هلويز الجديدة » •

ولقد امتزجت كتابة السيرة الذاتية بالخيال عند روسو حتى ضاع
الخيال الفاصل بين الحقيقة والخيال • وكل ذلك بأسلوب يقرب النثر

من الشعر • يكتب روسو : أنا أشعر بقلبي وأعرف الرجال •• ولم أكن كأحد من الذين رأيتهم • لقد كشفت عن نفسي •• أيها الخالق الخالد •• ويكشف كل وبدوره وبصدق عن قلبه أمام أقدام عرشك وليجرؤ أحد على القول : لقد كنت أفضل من هذا الرجل •

وشاتوبريان يكتب عن ولادته في مذكرات « ما وراء القبر » : عندما ولدت كنت كالميت • فهدير الامواج كان يمنع من سماع صراخي ••• غالبا ما قصّ علي أهلي هذه التفاصيل • في الغرفة حكمت أمي علي بالحياة وضجة العاصفة هزمت غفوتي الاولى ••• فكان السماء قد جمعت مختلف الاهوال لتضع في سريري صورة من أقداري •

هذه الامثلة الدالة على هذا النوع من القصص كانت تغلب عليها الصورة الجميلة والعاطفة الرقيقة • ولقد تنوعت موضوعاتها من مذكرات وأحلام وآمال ومن قصص للحب والفشل والانتحار •

وان كانت اعترافات روسو صورة لحياته فمذكرات وخواطر شاتوبريان في كتبه كانت صورة لحياته أيضا • وفي نفس الوقت شاهدا لاهم الاحداث التاريخية التي وقعت في عصره •

نضيف لهذه القصص قصة (اعترافات عام ١٨٤٩) « للامارتين » حيث يصف الكاتب قصة حبه مع فتاة اسمها (أونثينولا) تعرف إليها في ايطاليا ودعاها في كتابه باسم غرازيل • وقصة (رافائيل) تروي لنا قصص حب أخرى • وفي سنة (١٨٥١)

كتب « لامارتين » قصة (جنيفاف) وهي قصة حياة خادمة • ثم أتبعها بقصة (حفار سان بول) وهي قصة تضحية حياة أخ لآخيه • وفي نفس الاتجاه أيضا كتاب جورج صاند (تاريخ حياتي) ، (هي وهو) •

وهناك القصص المتنوعة عند الرومنتيكيين والتي تتناول موضوعات مختلفة من الفلسفة والاجتماع والسياسة • وهي القصص الهامة بنظرنا لأنها أثارت رياح الثورة وكانت نشيدا للحرية والعدالة الانسانية •

فأدب الرومنتيكية كان في خدمة المجتمع وأقرار حقوق الفرد الملهضومة فان الرومنتيكيين يطرحون مشكلات الشعب ويبحثون عن علاجاتها ، وهذه الوجهة تشكل منعطفا هاما في حياة الشعوب خاصة اذا وعيناها في عصرها • ولعلنا نستطيع أن نعتبر هذا النوع من أولى بذور الادب الملتزم •

فروسو كان يقول : « بأن الانسان طيب بطبيعته لكن المجتمع أفسده » • هذه الفكرة وغيرها من الافكار الجديدة والثورية كان لها الاثر الطيب في نفوس الرومنتيكيين الذين أخذوا يدافعون عن المظلومين •

وهيغو كان يحلم أن يكون « الصدى المدوي لعصره » • كان معارضا للسلطة عام ١٨٥١ وكان رمزا للحرية المنفية • ففي جزيرة جيرنسي كتب هيغو أعظم مؤلفاته « البؤساء » • وهي قصة الشقاء الانساني •

ففي مقدمة هذا الكتاب يعدد هيغو مشاكل عصره • فمنذ عهد مبكر من عمره اهتم هيغو بمصير البؤساء الذين أهملهم المجتمع أو حكم عليهم

وصلت الى هذا البلد ، ذهبت الى فندق وطردت منه بسبب بطاقتي
الصفراء ! قيل لي اذهب من هنا ٠٠ فلا أحد يريدني . فذهبت الى
حجرة كلب فعرضني وأبعدني عنه كأنه كان رجل يعرفني . فذهبت الى
الحقول لنام تحت ضوء القمر لكنه كان غائبا . لقد اعتقد بأنها ستمطر
وبأنه لم يكن هنا رب رؤوف يمنعها من الهطول ٠٠٠

ودخل جان فالجان الى بيت أسقف فاستقبله هذا الأخير ، فكاد جان
أن لا يصدق نفسه ، فقال : أحقيقة هذا ؟ هل ستبقيني ؟ ألن تطردني؟
فيجيبه الاسقف : أنت تدعى أخي . وتناول جان فالجان جواز سفره وقال
للاسقف : خذ وانظر ما كتب عليه : (جان فالجان «سجين سابق» أمضى
في السجن تسعة عشر عاما : خمس سنوات بسبب السرقة وأربع عشرة
سنة لمحاولة الهرب أربع مرات . هذا الرجل خطير جدا) . وهكذا ٠٠٠
فالناس كلهم رموني خارجا فهل ستستقبلني أنت ؟

نظن أن هذه الصور لجان فالجان لاتحتاج الى اثبات للدلالة على
البؤس والتشرد الذي يعانيه هذا الرجل من ظلم المجتمع وهذه الصورة
ليست إلا مثالا لصور كثيرة من الشقاء والبؤس الانساني .

أما « فيني » فيهاجم الظلم الاجتماعي في « ستلو » ان الفرد قلما
يخطيء . ولكن النظام الاجتماعي هو المخطيء دائما .

ولقد هاجم الرومنتيكيون السلطة الجائرة المتمثلة بالحكام ورجال

الكنيسة • فطالب روسو في العقد الاجتماعي بإرادة الشعب وهاجمهم هيغو في قصته « نوتردام دو باري » •

وفيني يصف بطشهم في « ستللو » : انظر الى هؤلاء العميان ••
انهم يسحقون دون رحمة من يتقدمهم أو من يعترض طريقهم •

فالرومنتيكيون اذن يهاجمون النظم والتقاليد الاجتماعية الجائرة التي تقف بوجه الفقراء الوضيعين من اقفال باب الوظائف بوجههم ووضع القيود أمام تقدمهم والبطش بهم ويرون فيهم ضحايا بريئة للمجتمع الذي أفسدهم وأحاطهم بقيود ثقيلة وجائرة •

ولقد أثارت الرومنتيكية أيضا قصة الانسان الضخية التي ساءت عليه الاقدار فلم يعرف أباه وأمه فرفضه المجتمع وازدراه ، كقصة « ليليا » لجورج صاند وقصة « أنطوني » اسكندر ديماس •

ونذكر أيضا كتاب « عمال البحر » لهيغو وكتاب « الانسان الذي يضحك » والتي عالجت بعض المشكلات الاجتماعية ولكنها لم تصل الى مستوى البؤساء • ونزيد أيضا كتاباً آخر لـ « فيني » هو « الاستعباد والعظمة العسكرية » المرتبط بخيط مع « ستللو » • والحقيقة تقال هنا أن كتب فيني لم تلق النجاح الذي احتكره هيغو •

ولقد اهتمت « جورج صاند » بأدب الشعب وبمشكلة تحرير المرأة • فلقد حاولت هذه الكاتبة أن تجعل من قصصها قصصا انسانية مصبوغة

بروحانية اجتماعية • فطالبت بحق المرأة العاطفي وبتحسين العلاقات الاجتماعية بين الطبقات • لهذا عملت في السياسة •

من كتبها « البارون دو نوفان » ، « أورور دبويان » • ومن كتبها أيضا في الدفاع عن الشعب « موبار ١٨٣٧ » و « طحان أنجيوه » •

وهناك نوع من القصص الذي اهتم بالرحلات والسفر • وهذا لايعني أن القصص التي تندرج تحت هذا الباب تتحدث عن السفر وحسب فلقد امتزجت الموضوعات ببعضها البعض وهدف هذا التبويب ليس إلا للتسهيل والتوضيح فقط •

بحكم وجود فرنسا في قلب أوروبا وبحكم حب الرومنتيكيين للسفر والتجوال واكتشاف بلدان جديدة بعيدا عن صخب وهموم الحياة التي كانوا يعيشونها •• ازدهر هذا النوع من القصص خاصة وأن السفر كان غذاء لخيال الكاتب وأحلامه التي كانت في انقاد دائم •

كتب شاتوبريان « أثالا » اثر زيارته لأمريكا ، وهي قصة حب بإطار خلاب من الوصف للبلاد الأجنبية • وكتاب (رينه) صورة للعاطفة التي لا حدود لها وللضجر النفسي الذي لا ينتهي ولل فراغ الذي يلاحق القلب دون هواة •

وجورج صاند كتبت (انديانا) وهي قصة عاطفية ومذكرات ذاتية وانطباعات عن رحلاتها خارج فرنسا • وهيغو أيضا كتب عن رحلاته

فكانت له قصص عديدة منها (الرين) و (الالب والبيرنيه) و (فرنسا وبلجيكا) و (في السفر) •

وكما يتبين : فموضوعات هذه القصص تراوحت بين المغامرات والحوادث والخواطر الاجتماعية والمناظر الطبيعية •

وهناك أيضا القصص الغريبة والمدهشة • وهذا النوع من القصص يرجع الى القرن الثامن عشر وخاصة الى «جاك كازوت» و «آن رادكليف» الانجليزية • فالانسان بطبيعته يحب المغامرات المخيفة ولديه نزعة الحب للخوف من المجهول • **قصص القصور المنعزلة في الليالي الباردة** ، ومنظر السراييب والغابات وقصص الاشباح تداعب مخيلته وتثير اهتمامه ••

ولقد اشتهر في هذا النوع شارل نوديه^(١) الذي نشر سنة (١٨٢١) قصة خيالية غريبة بعنوان «سمارا أو شياطين الليل» •

وقد رسم في قصته هذه ، الاكتئاب والقلق والكابوس وأهمية الحلم في الحياة النفسية • وهناك قصص أخرى للكاتب منها «الحلم بالذهب» •

الى جانب «نوديه» نذكر أيضا غوتيه^(٢) الذي ترجم أعلامه في الخيال المطلق نذكر من قصصه (أريا مارسلا) عن مدينة بومباي وقصة (مومي) عن مصر القديمة (وكابتن ماركاس) •

وهذا النوع من القصص الذي اشتهر بالايحاء والخيال ستكون له علاقة بالمدرسة الرمزية والسوريالية •

وهناك أخيراً القصص التاريخية وهذا النوع القصصي لاقى في عصر الرومنتيكيين رواجاً منقطع النظير .

رائد هذا النوع كان « والتر سكوت » الذي عرفت القصة التاريخية معه أصولها ومنهجها (١) . ومشكلة هذا النوع من القصص كان الصراع بين الفن وبين التاريخ وصعوبة التوفيق بينهما . فالسرد التاريخي لا يصلح ليكون أدباً ما لم يتدخل الفن .

ولقد امتزجت في هذه القصص أنواع فنية متعددة من حكايا اجتماعية شعبية وتاريخية . ولقد لاقى هذا النوع تشجيع الكتاب والادباء للكتابة في هذا النوع الادبي . نذكر من هؤلاء « بلزاك وديماس و أوجين سو وميشال زيفاجو » وغيرهم .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولقد انتشرت بعض هذه القصص خارج فرنسا، لكن الاقبال الشديد عليها كان من جانب الفرنسيين اذ أن موضوعات هذه القصص كانت تتعلق بتاريخ محدد وبعلاقات معينة بين السلطة المالكة والشعب زيادة الى هذا فانها ليست من الادب الخالص الرفيع الذي يستطيع وبأغلبية أن يتجاوز حدود المكان والزمان .

هذه القصص التاريخية تعتمد على الخيال . فالخيال دائماً في عيد، والخيال ينتج الصور ويأتي الفعل ويربط بينهما في خيط مشوق معتمداً على حشد الاحداث والمغامرات . فهذا النوع من القصص يعتمد على الاحداث أكثر مما يعتمد على التحليل والبحث النفسي للشخصيات .

فلذاك جرب كتابة القصة التاريخية « ورثة دوبيراك » التي قدمها بلزاك للناس فوافق عليها ، واتفق معه على كتابة بعض القصص التاريخية . وكان بلزاك يكتب بأسماء مستعارة . ورغم قصصه الكثيرة فان الشهرة لم تحالفه في هذا النوع .

ومن رواد القصة التاريخية كان (ألكسندر ديماس) . جاءته الشهرة من روايته هنري الثالث التي حملت الى جيوبه مبلغ ثلاثين ألف فرنك فكان يكتب دون توقف . وكان يعاونه « أوغست ماكيت » الذي أعطاه فكرة (الفرسان الثلاثة) . و (مونتو كريستو) و (فارس أرمنتال) .

ولقد اختلف ديماس عن كتاب القصة الذين يعتمدون على التاريخ في كتابة قصصهم لكن ديماس كان ينتقد هذا الاتجاه ويقول : ان القصة يجب أن تعبر عنا بصورة أو بأخرى .

فقصصه تتمحور في دائرتين :

الاولى وصف المغامرات الشيقة والمقالب المضحكة .

والثانية طرحه لشخصيته وأفكاره من خلال شخصيات القصة .

فكان ديماس يحاول من خلال روايته (الفرسان الثلاثة) أن يوزع هذه السمات النفسية في أبطاله الاربعة بدل أن يصهرها في شخصية واحدة فكان « أرنتيان وأراميس وبورتوس وأتوس » وهم يمثلون النزعات الاربعة التي كانت تتنازع في نفس ديماس .

فالسيرة الذاتية كما يظن ديماس تثقل خيال الكاتب وتثير عنده شعورا نارسيسياً . فالكسندر ديماس يحدثك عن نفسه في ثياب غيره . ففي قصة (مدام مونسورو) يثير موضوع المنافسة والحسد عند العاشق الذي أثاره ابن جيله (دوستوفيسكي) كما تأثر بفرويد ، وبنزعة أوديب التي نرى بذورا لها في قصته « بعد عشرين سنة » .

كذلك عبر عن النظرية النسبية في اختلاف المواقف وردات الفعل لعدة أبطال أمام حدث واحد ، وذلك في قصة الفرسان الثلاثة .

و ميشال زيغاغو يكتب قصة « بورجيا » ليتحدث عن الثأر . فلقد أدخل هذا الكاتب شخصيات حقيقية الى هذه القصة ، فهناك الشر المتمثل ببورجيا ، والخير المتمثل بالبطل الذي ينتصر في النهاية .

ولقد كتب هيغو « نوتردام دوباري » وراعى في عمله تقاليد القصة التاريخية وأثبت نجاحه في هذا المضمار . فلقد زار هيغو الكاتدرائية مرات عديدة وخبرها جيدا فكانت مسرحا لقصته .

والقصة تروي حب أحدهم نوتردام كازيميدو لفتاة بوهيمية تدعى أزميرلدا .

ولقد اختلف ألفريد دوفيني مع الاصول التي خطها والتر سكوت في قصصه فجعل الشخصيات التاريخية في المقام الاول وطالب بحق الكاتب في تغيير التاريخ لخدمة الفن والجمال . فكتب (٥ آذار) وهي قصة حب

حدثت في عهد ريشيليو بين الماركيز وبين الاميرة ماري كونزاك في ظل الحرب والمبارزة •

هذه القصص الرومانتيكية وبجميع أنواعها كانت انعكاسا لتأثيرات هذه الحركة ومفاهيمها وخاصة القصص الاجتماعية التي كانت تعبيرا عن العصر والتزاما بقضايا الانسان •

وامعانا في الذاتية واسترسالا في الحديث عن الانا كانت ردة فعل الواقعيين وعلى رأسهم بلزاك الذين أخذوا يعنون بكتابة القصة الواقعية معتمدين على الواقعية وعلى الحقائق والمشاهدات الموضوعية • الا أن كتابات كبار الكتاب الواقعيين لم تستطع أن تغلت من أسر الرومنسية فحملت بعض تأثيراتها • وهذا ما يعيننا هنا ، لان القصة الواقعية امتدادا ببعض خيوطها للرومنتيكية وفي دائرة محدودة جدا •

فمادة القصة الواقعية كانت مشكلات العصر الاجتماعية وأبطال قصصهم كانت من الطبقة البورجوازية التي دافع الرومنتيكيون عنها لكنها وعندما تولت الحكم بدأت عيوبها بالظهور فكانت مجالا للتطوير والنقد من جانب الواقعيين الذين تأثروا بأساليب البحث العلمي • وما يمليه عليهم هذا الاتجاه من أبعاد الطابع الذاتي عن أعمالهم فهم يعرضون التجربة دون أن يتدخلوا وعلى القارئ أن يفهم ويستنتج ما يشاء •

ومادام الامر كذلك عند الواقعيين فكيف نفذت الرومنتيكية الى أعمالهم ؟

في كتاب « الاب غوريو » لبلازاك ، يعتبر راستنباك ممثلا لافكار وتجارب الكاتب . فهذا الشاب كبلازاك يدرس الحقوق ويحلم في أن يكون رجلا عظيما في المجتمع .

يزاد الى هذا أن شخصية راستنباك والاب غوريو قريبة ببعض ملامحها من الشخصيات الرومنتيكية .

واذا أخذنا قصة « مدام بوفاري » نجد فلوبير نفسه يقول : « مدام بوفاري هي أنا » . فشخصية مدام بوفاري شبيهة بالشخصيات والابطال الذين ألفناهم في العالم الرومنتيكي . فمدام بوفاري رقيقة حاملة يسرح بها الخيال ويلقها الضجر ، تحب المغامرات والموسيقى والشعر ، وهي كذلك شخصية مزاجية .

والشيء نفسه يتكرر في شخصية جوليان سورال في قصة « الاحمر والاسود » لستاندال .

والامر الذي يجب أن يقال هنا أن الكاتب لا يستطيع أن يلقي بنفسه تماما من عمله الادبي ، فقوانين العاطفة ليست كقوانين علم الفلك والكيمياء . ومع ذلك سيطالب (زولا) بالعلم التجريبي في الادب ، وبالتصوير الفني الذي يعتمد على التجربة العلمية .

فالتصوير موجود عند الرومنتيكيين وعند الواقعيين لكن الاختلاف يكمن بأن الرومنتيكي يتجه في تصويره مسلكا ذاتيا وخياليا بينما

يسلك الواقعي في تصويره مسلكا علميا قائما على التجربة ومعتمدا على الحقائق العلمية .

وصفوة القول في هذا المقام أن مشاعل الادب العظيمة تنطفئ .
فالرومانتيكية لم تقض على الكلاسيكية ، والواقعية لم تقض على الرومانتيكية ، والرمزية لم تطفئ الواقعية والطبيعية .

لائحة المراجع

- ١ — الرومانتيكية د. محمد هلال.
- ٢ — الادب المقارن د. محمد هلال.
- Histoire de la Littérature Française Tome I et II M. Bechara
- La Littérature Française Parles Textes Tome III et IV M. Beshara
Editions Dar Al-Kitab Allubnani
- Andre Le Breton : Le Roman Français Au XVIII Siècle.
- Paul Van Teighem :
Le Romantisme dans la Littérature Européenne
- Guy Breton : Histoires Malicieuse des Grands Hommes
Presses Poket.
- Chateaubriand : Extraits des Memoires D'outre-Tombe
- Chateaubriand : Rene.

* ترجمة : ربيع علاء الدين *

- A. De Vigny : Les Destines.
- A. De Musset : Poesies Completes.
- V. Hugo les Contemplations.
- V. Hugo les Miserables.

متفرقات

- Lire Au Tourd'Hutt et Larouses.
- Rousseau : Confessions - Reveries.
- Lamartine les Meditations.



* * *

عَوْدَةُ الْأَسِير

ترجمة: نجيب غزاوي

لأندره موروا

يوري فاسيليفيتش بونداريف

ولد الكاتب الروسي السوفييتي المعروف يوري بونداريف عام ١٩٢٤ في منطقة الاورال . ويعتبر الآن من الكتاب الشباب الذين ساهموا في الحرب العالمية الثانية منذ بدايتها حتى نهايتها .

أنهى معهد غوركي للآداب عام ١٩٥١ . بدأ بنشر مؤلفاته الادبية عام ١٩٤٩ ، واهتم بتأليف الاقصوصة . وكانت أول مجموعة قصصية له « فوق النهر الكبير » ١٩٥٣ وحسب انه سيستمر في كتابة الاقاصيص مدة طويلة من حياته ، فلم يفكر في شبابه أن يكتب رواية أو قصة طويلة ، وفكر بأن هذا من الصعب عليه ، لكن بونداريف لم يتوقف عند هذا التفكير ، بل تجرأ وتناول نمط القصة فكتب « الكنائس تطلب النار » عام ١٩٥٧ التي اعتبرت عملا أدبيا ذا أهمية كبرى ، بل انه افتتح بنتاجه هذا اتجاها جديدا في الادب . وبعد هذه البداية الموفقة للكاتب

وجد في نفسه القدرة على المتابعة الجدية فكتب في هذا المجال « الطلقات الأخيرة » ١٩٥٩ والتي أخرجت فيلماً عام ١٩٦١ و « الثلج الحار » وغيرها مما عكس سني الحرب العالمية الثانية من وجهة نظر ذلك الجيل الذي تفتحت عيناه على الحرب وهو في مطلع شبابه ٠٠ فصور في هذه الرواية البطولة العظمى التي قام بها الشعب السوفييتي والمحارب بشكل خاص بمن فيهم الضباط والجنرالات ، وصور الحالة النفسية للمحاربين على اختلاف شخصياتهم خلال حوادث الحرب ٠

وأصدر الكاتب عام ١٩٦٢ رواية « الصمت » التي أخرجت فيلماً عام ١٩٦٤ ، وظهرت تكملتها عام ١٩٦٤ تحت عنوان « الاثنان » التي يصور فيها الحياة بعد الحرب ، وكيف عاد المحاربون الى الحياة المدنية يبحثون عن عمل ومكان جديد في المجتمع ٠ وأصدر مجموعة قصصية بعنوان « في المساء المتأخر » ١٩٦٢ ، وقصة « الاقرباء » عام ١٩٦٩ التي تصور حياة الشبيبة وعمل بوندارييف في اعداد سيناريو فيلم «التحرير» مع جماعة من الكتاب الآخرين ٠ وبعد صدور روايته الشهيرة « الشاطئ » ١٩٧٥ ، دارت بين النقاد معركة حامية حول القضايا التي يعالجها الكاتب والتي تتسم بتعدد جوانبها وحدة المسائل المطروحة في وقتنا الراهن ٠

وما أقصوصة « انتظار » التي نوردتها للكاتب هنا الا مجموعة صفحات من عمل أدبي طويل نشر في كانون الثاني عام ١٩٧٥ في مجلة العالم الجديد ٠

ولا يزال الكاتب في قمة عطائه ، وقد قلد لقاء أعماله الادبية والاجتماعية وسام الاستحقاق والعديد من الميداليات ، وحاز على عدة جوائز •

هذه القصة حقيقية جرت حوادثها عام ١٩٤٥ في قرية فرنسية ساسمها « شارودي » رغم أن هذا ليس اسمها الحقيقي الذي لا يمكن ذكره لأسباب بديهيّة •

تبدأ القصة في القطار العائد من ألمانيا بالأسرى الفرنسيين ، انهم اثنا عشر رجلا في مقصورة أعدت لعشرة • كان الزحام في المقصورة شديدا والأسرى منهوكي القوى ، وكاثوا مع ذلك نشيطين سعداء ، فقد عرفوا أنهم ، أخيرا ، وبعد خمس سنوات من الغياب ، سيرون بلدهم وبيوتهم وأهلهم • والصورة التي كانت تسيطر على فكر معظمهم ، خلال السفر ، كانت صورة المرأة ، فالجميع كانوا يفكرون بها بحب وأمل ، وبعضهم بقلق : أيجدونها كما كانت مخلصّة ؟ ترى من رأت وماذا فعلت خلال هذه الوحدة ؟ هل من الممكن العودة الى الحياة المشتركة ؟ وكان من له أولاد أقل قلقا ، فנסأؤهم ستشغل بأبنائهم ووجود هؤلاء ومرحهم سيجعل الايام الاولى سهلة •

في زاوية من المقصورة ، جلس رجل طويل القامة ، نحيل ، وجهه محتدم وعيناه المتقدمتان أشبه بأعين الاسبان منها بأعين الفرنسيين ، انه يدعى « رونو ليماري » وهو من بلدة « شارودي » في منطقة

« البيريغور » • وبينما القطار يغدّ السير ويبرز صوت صفارته من وقت لآخر خلال الضجة الرتيبة للعجلات ، كان رونو يقول لجاره :

– هل أنت متزوج ياساتورنان ؟

– طبعاً متزوج ، وقبل الحرب بعامين وقد رزقت بولدين • اسمها مارت ، هل لك أن تراها ؟

وأخرج ساتورنان ، ذلك الرجل قصير القامة ، المرح ، ذو الوجه الذي تراكمت عليه آثار الجراح ، أخرج من جيبه الداخلي محفظة وسخة ، وأشار الى صورة ممزقة •

ARCHIVE : قال رونو :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

انها جميلة بحق ، أولست قلقاً من عودتك ؟

– قلق ... انني أطير من الفرع • ولِمَ القلق ؟

– لأنها جميلة ، هي وحيدة ، وهناك رجال كثيرون ...

– انك تثير ضحكي • انها لن تفكر أبدا بهم فقد كنا سعداء معاً • ماذا لو أطلعتك على الرسائل التي كتبتها منذ خمس سنوات ؟

– أه ٠٠١ الرسائل ، هذا لا يبرهن على شيء ، فأنا تلقيت رسائل جميلة ويعتريني القلق مع ذلك •

– أنت غير واثق من زوجتك •

- بلى ، على الأقل كنت كذلك ، وربما أكثر من أي شخص آخر
فنحن متزوجان منذ ست سنوات ولم يعكر صفونا شيء .

- اذن ؟

- المسألة مسألة طبع ، يا صاح ، فأنا من الذين لا يمكنهم أن يؤمنوا
بالسعادة أبدا . كنت دائما أقول لنفسي أن « هيلين » طيبة جدا معي ،
وجميلة جدا وذكية ، وهي مثقفة يمكنها عمل كل شيء ، فلا تكاد
تلمس قطعة قماش حتى تصبح ثوبا ، وإذا أثنت منزلا ريفيا صار
الجنة ، وعندئذ أتابع مخاطبا نفسي : كان في بلدي خلال الحرب الكثير
من اللاجئين ومنهم من هو أحسن حالا مني وربما كان هناك أجنب ،
كالخلفاء مثلا ٠٠٠ وأجمل امرأة في القرية قد استرعت انتباههم
بكل تأكيد .

- ثم ماذا ؟ وان كانت تحبك ؟

- نعم يا صديقي ! ولكن هل تتصور معي أن تكون وحيدة خمس
سنوات ؟

ان شارودي ليست بلدها انها بلدي وليس لها فيها أقارب ، فالاغراء
اذن شديد .

- انك تثير ضحكي ، فأنت سيء الظن . وبعد ، افترض أن شيئا
من هذا قد وقع ، ماذا تكون النتيجة ، اذا هي نسيت ذلك وكنت أنت

وهذا بالصبيان ؟ خذ حالي أنا : لو قيل لي أن مارت ٠٠٠ سأجيب لا أريد
كلما أكثر عن هذا بأنها زوجتي وكانت الحرب وكانت وحيدة ، الآن
نحن في سلم وسنبداً من الصفر .

فأجاب رونو :

– أنا لست مثلك ، فإذا علمت في عودتي أن هناك شيئاً ما ٠٠٠

– ماذا ستفعل ؟ ستقتلها ؟ ان بك شيئاً من الجنون .

– لا لن أزعجها في شيء ، حتى لو كان عتاباً . سأختفي من حياتها
سأعيش بعيداً تحت اسم مستعار سأترك لها المال والبيت ، فلست
بحاجة الى شيء ، اذ أحسن حرفة وسأبدأ حياتي من جديد . هذا تصرف
مغفل ولكنني خلقت كذلك : اما كل شيء واما لا شيء .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أطلقت القاطرة صفارتها وأبدلت خطوط سكة الحديد : ان القطار
يدخل المحطة وصمت الرجلان .

□ □ □

كان مختار شاردوي معلم القرية أيضاً ، انه رجل حمل الحذر مع
عطف الأب . عندما تلقى – ذات صباح – اشعاراً من الوزارة يعلن
عودة « رونو » في العشرين من آب ، في القطار المتجه نحو الجنوب الغربي ،
قرر أن يعلم زوجته بنفسه . وجدها تعمل في حديقته التي جعلتها
أشجار الورود المتسلقة على طرفي الباب أجمل حدائق القرية .
– أعرف جيداً ، ياسيدة ليماري ، أنك لست من النسوة اللواتي

يجب اعلامهن عن عودة أزواجهن لنوفر عليهن مفاجأة خطيرة، وإذا سمحت لنفسني فأنني أقول لك : ان سمعتك وتحفظك نالا اعجاب الكل هنا .. وحتى الثرثارات لا يكنّ غالبا رحيمات مع غيرهن من النسوة لم يجدن ما يقلنه عنك •

قالت وهي تبسّم :

- يوجد دائما ما يقال ياسيدي المختار •

- فكرتُ في ذلك ، ياسيديتي ، فكرت في ذلك ، ولكنك تركتهم جميعا "عزّلا تجاهك" لا ، ان السبب الذي دفعني لاعلامك هو أولا أن اسمع مزاحك ، وأؤكد بأنه يسرني ، ولذلك على ما أظن تريدين أن تهبيء له استقبالا جميلا ، فأنت مثلنا لا تاكلين الطعام الجيد دائما ولكن لمناسبة كهذه ...

- ان لك حجتك دائما ياسيدي المختار ، وسأعد استقبالا حافلا لرونو ، قلت انه سيعود في العشرين ، في أي ساعة تظن أنه سيصل ؟
- الوزارة تقول ان القطار سيفادر باريس في الساعة الثالثة والعشرين وقطاراتنا تسير ببطء ، كما يتحتم على « رونو » أن ينزل في « تيغيه » ليسير ٤ كيلو مترات راجلا ويمكنه أن يكون هنا اذا وصل مبكرا ، عند الظهر •

- أؤكد لك ياسيدي المختار أنه سيتناول غذاء أعد أحسن اعداد •

وأنا واثقة من أنك تفهم سبب عدم دعوني لمشاركتنا ، ولكنني جد
مقدرة لزيارتك .

- ان أهل شارودي يحبونك ياسيدة ليماري ، صحيح أنك لست من
هذه القرية ، ولكننا نعتبرك ابنة لنا .

في صباح اليوم العشرين، استيقظت « هيلين ليماري » في السادسة
وكانت لم تنم طيلة الليل . فقد نظفت البيت ورتبته جميعه مساء
الأمس : غسلت البلاط ولمعت السقف وأبدلت بأشرطة جديدة الاشرطة
القديمة التي كانت تربط بها ستائر النوافذ . ذهبت بعد ذلك الى حلاق
شاردوي لتصفف شعرها عنده . ونامت وقد ربطت شعرها بشبكة ليبقى
على ما هو عليه حتى الصباح ، استعرضت ملابسها الداخلية واختارت
بشغف الثوب الحريري الذي لم ترتده أبدا خلال وحدتها الطويلة . أي
ثوب ستلبس ؟ ان ماكان يفضل في الماضي كان ثوبا أزرق وأبيض
محلّى بزخارف لماعة ، جربته فلاحظت ، بضيق ، أن الحزام فضفاض
حول جسمها الذي نحل بسبب التقدير . لا ، انها ستلبس ثوبا أسود
خاطته بنفسها وستحليه بعنق وحزام ملون .

قبل أن تحضر الطعام تذكرت ما كان يفضل . كانت أشياء كثيرة
مفقودة في فرنسا عام ١٩٤٥ حلويات الشوكولاتة بعد الطعام ؟ نعم !
ذلك ما كان يفضل . ولكن الشوكولاتة مفقودة : كانت تلك لحسن الحظ
عدة بيضات طازجات بفضل اصطبلها الصغير . كان « رونو » يقول

دائماً : انها أفضل مَنْ صنع العجة • كان يحب اللحم الاحمر والبطاطا المقلية ، ولكن لحام شاردوي قد أغلق محله منذ يومين • كان لديها فرخة ذبحتها في الليلة السابقة وشوتها • وبما أن جارة لها قد أكدت في المدينة الصغيرة القريبة بقالا يبيع الشوكولاتة خفية ، صممت « هيلين » على الذهاب لشرائها •

قررت هيلين أن تذهب لشراء الشوكولاتة وقالت في نفسها : اذا ذهبت في الثامنة عدت في التاسعة • لا لكن ساعد كل شيء قبل ذهابي حتى اذا رجعت لن يكون علي "العمل المطبخ" •

وبالرغم من تأثرها فقد كانت فرخة بشكل رائع • كان الطقس جميلا ولم تكن شمس الصباح يوما فوق الوادي ، أكثر تألقا منها الآن •

أندره موروا André Maurois

ولد أندره موروا ، القاص والروائي الفرنسي ، في ٢٦ حزيران عام ١٨٨٥ في قرية اليبوف من مقاطعة النورماندي الفرنسية وتلقى تعليمه في مدارس مدينة روان على يد الفيلسوف آلان (ALAIN) وتأثر كثيرا بأرائه . عمل ابان الحرب العالمية الاولى كضابط اتصال لدى القوات البريطانية وكتب عن تلك الفترة مجموعة من القصص من بينها .

« صمت العقيد برامل » ١٩١٨ Les Silences du Colonel Bramble

« خطب الدكتور أوغراي » ١٩٢٢ Les Discours du Dr. O. Grady

* ترجمة : نجيب غزاوي *

Bernard Quenney كما ألف عام ١٩٢٦ « برنار كيني »
Le Cycle de la famille وعام ١٩٣٢ « سلسلة العائلة »
واحرزت قصته اقباليم (Cluats) نجاحا كبيرا لدى الجماهير النسائية .
اشتهر موروا ايضا ككاتب سير عظماء فقد كتب ترجمة لشيلي Shelley
واخرى « لدزارائيلي » وثالثة « لبايرون » كما كتب ترجمات عن حياة « بالزاك »
ومارسيل بروسست وجورج صاند ونيكتور هوغو ، وقد تجاوز موروا الادب ليكتب
في مجالات اخرى فكتب مؤلفا في الاخلاق « حوارات حول القيادة » ١٩٢٤
Dialogues san le commandement
كما كتب في التاريخ « تاريخ انكلترا » ١٩٣٧
Histoir d'Angleterre
و « تاريخ الولايات المتحدة » ١٩٤٧
Histoire des Etats-Unis
وقد ظل كاتبنا عضوا في الاكاديمية الفرنسية منذ عام ١٩٣٨ حتى وفاته
عام ١٩٦٧ .

* * *

ترجمة
د. أحمد الغفري

الشيخ

نصه للآب الأكرادري بيدرو خورخيه فيرا

بدأ كل شيء في الساعة العاشرة مساءً ، وعلى وجه الدقة في العاشرة
وثماني دقائق ، فقد أُلقيت نظرة على ساعتني لدى سماعي أول طلقة .

طلقة بندقية بالطبع . جاءت من مكان بعيد ، من الطرف الآخر
للمدينة . واهتز الناس الذين لم يعرفوا سبب ذلك . ودوت طلقات
جديدة ، وبعد قليل لعلت أصوات الرشاشات .

سيطر الهلع على المارين القلائل في الشارع : ركض بعضهم خوفاً ،
واختبأ آخرون في باحات مداخل البيوت . وأطلت من النوافذ رؤوس
فضولية مترددة .

كنت واقفاً بجانب أحد الأعمدة ، وهرت في أمري ، ماذا أفعل .
فأخرجني من تردددي شيخ مرّ بي وهو يعدو ويصيح بأعلى صوته :
- أخيراً ، اللعنة على أمهم أخيراً !

ركضت وراءه لكي أعرف ماذا يجري .

- ماذا حدث أيها السيد ؟

- لا أدري ، لا أدري ...

توقفت ، إذ أدركت أنه لا داعي للحاق به مادام يعرف قدر ما أعرف .

وتوقف الشيخ أيضاً . كان ضئيلاً ، تحيط بوجهه المتجعد لحية

تولستوائية ، والتفت عيناه الحادثان بعنف .

- ماذا هناك ؟ لماذا توقفت ؟

- ما دمت لا تعرف الى أين نذهب .

فزار بنبرة تنم عن الاستغفاف :
ARCHIVE

- يا رجل ... اننا نذهب الى هناك ، حيث يلعلع الرصاص . ألا

تسمعه ؟

استمر دوي الطلقات ، وأصبحت الآن تسمع من جزء المدينة الجنوبي .

- لكن ... من يقاتل ؟

فلوَّح الشيخ بيده متبرماً .

- يا رجل ... الشعب يقاتل ! الامور واضحة ! لقد انتظرت هذه

الساعة سنوات . ومنذ ستة شهور يقولون انها تقترب . ألم تلاحظ

ذلك ؟ اذن ينقصك الحس ! أما أنا فقد شعرت بذلك في الهواء ، في

الرياح ، وجدته في ألوان الشمس • إنها أمائر تنبىء بأن ثورة الشعب
قادمة • هل أنت بحاجة للمزيد من الايضاح ؟

وبرز من المنعطف مواطنون مسلحون ، ثلاثة رجال وفتاة واحدة •
فتصدى لهم الشيخ :

- أين البنادق أيها الرفاق ؟

أجابه أحد الرجال :

- لا توجد بنادق أيها الجد !

مسح صاحبي بعصية على لحيته ، واختفى الثوار بسرعة في
العتمة • وقال :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- بدون سلاح لا يمكننا أن نفعل شيئاً • حسناً ! إذا فتشت عن
السلاح فستعثر عليه • هيا لنسير !

أمسك بيدي وجرّني معه • لم أقاوم • سرنا ، يقودنا دوي الطلقات ،
دون أن ينظر أحدها الى الآخر •

وأوضح الشيخ :

- في القتال هناك دوماً ما تساعد به : أن تعتنني بجريح ، أن تقوم
بدور المراسل • وتبقى أيضاً بنادق الذين يخرجون من صفوف القتال •

وما إن انعطفنا نحو اليمين ، ونحن نهتدي بأصوات الطلقات ، حتى

توقفنا ، كلانا في لحظة واحدة ، لأننا سمعنا هرجاً ومرجاً بالقرب منا •
ودون أن ننبس بكلمة توجهنا نحو الاصوات • وحالما صرنا وراء زاوية
المنعطف شاهدنا حوالي مئة رجل وامرأة يتجمعون أمام مخزن عليه لافتة
« لا لونا - مبيع وشراء » •

كانت الصفوف الامامية من المهاجمين المسلحين بقطع حديدية وعصي
تضرب الباب بعنف •

وصاح رجل طويل القامة وصل يحمل قضيباً حديدياً ومبرداً :

- نظام ! أيها الشباب • لن نفعل شيئاً بهذه الطريقة • وشق
طريقه ، وهو يدفع الجمع بحماس • والتفت الى شابين قويين يحملان
قضيبين حديديين : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أنتما ستساعداني •

أثر طولهُ أو صوته أو أدواته في الناس • وهذا الجميع وهم ينتظرون
الرجل ومساعديه •

وصمت الناس خمس عشرة دقيقة ، عشرين دقيقة ، بينما كان
الثلاثة يحطمون الأقفال • وهمس الشيخ في أذني :

- من الواضح أن هذا الرجل قائد بالفطرة • يعرف ماذا يفعل •
النظام ضروري في المعارك ، يجب أن لا يجري شيء على غير هدى •
لو أن الجمع استمر بالضرب لا على التعيين لما كان بالإمكان تدبر أمر

هذا الحصن حتى بعد خمس ساعات • أما الآن ، هل ترى ؟ انتهى كل شيء !

عمّ الشارع صخب يعبر عن الغبطة • وفتح القائد العرضيّ في هذه اللحظة باب المخزن كما يفتح رئيس الكهنة أبواب المعبد •

أمرني الشيخ ، وهو يمسك بيدي :

- لننصرف !

- لا لننرّ ماذا سيحدث •

ألقى عليّ نظرة استياء •

- هذا لا يليق بنا • إنه نهب رغم أنه عادل • ان المخزن محل ترهن

فيه الحاجيات ، حيث يسلم الفقراء أشياءهم لكي يشتروا الطعام أو ليداووا مرضاهم • وفي الأغلب لا يتمكنون من استعادة الأشياء الموهونة •

- لهذا بالذات لننرّ كيف يستعيد كل انسان ما يخصّه • إنه مظهر

من مظاهر محاكم الشعب •

- نعم ، ولكن يليق بنا مكان آخر ، يجب أن نكون في قلب المعركة •

انها تجري في منطقة المدينة الاولى • هناك « باستيل » بلادنا • وسيكون جميلا أن نشهد سقوطه لنسرع !

فأبيت :

- لا • هنا باستيل الربا • سأبقى هنا •

تردد الشيخ بين أن يتابع السير وحيداً ، وبين أن ينتظرني . وفي هذه اللحظة بدأ المهاجمون يغادرون المخزن ، كان كل منهم يحمل ما وصلت إليه يده . وكانت امرأة بدينة تحمل رزمة من البطانيات . وفتى يرتدي سترتين ويضغط بولـه العاشق طابتي كرة قدم . وخرج شاب وهو يدير لولب أربع ساعات وضعها على معصميه . وسقطت على الأرض طنجرة من يد امرأة تحمل طفلاً رضيعاً ، فبدأت تستجدي : « ناولوني إياها ، انني بحاجة اليها لزوجي المريض ا » . وكان رجل ضخم يحمل على ظهره ماكنة خياطة ، وهو يشتم : « كانت ماكنتي (سنجر) ، ولكنني لم أعر عليها » .

وجلس بالقرب منا على الرصيف فتى حافي القدمين ، وأخرج من علبة كرتون زوجاً من الأحذية في نفس اللحظة التي ظهرت فيها الدبابات . وتفرق الناس ، وقد استولى عليهم الرعب . ولكن الفتى لم يتحرك . وقلت له وأنا أركض :

– لنبتعد فقد جاءت الدبابات !

بدا وكأنه لم يسمعي . وعند المنعطف استدرت وذهلت عندما رأيت الشيخ يجلس القرفصاء بجانبه ، ويساعده في انتعال الحذاء ، بينما كانت الدبابات تتقدم حانقة . وأخذ الاثنان ، وقد بقيا وحيدين ، يعملان بسرعة حتى أفلحا أخيراً في تدبر أمر الحذاء . فانتصب الفتى وأخذ يخطو بصعوبة . ولم يتمكن من القيام بأكثر من بضع خطوات .

وفتحت الدبابة الاولى النار : هوى الشيخ والفتى على الرصيف • ووقف ضابط يحمل رشاشاً في يده أمام مدخل المخزن ، وأطلق على الناس القلائل الذين تأخروا ، ولم يتمكنوا من الفرار •

انتظرت مختبئاً في أحد المداخل رحيل الدبابات والجنود • وعندما عدت الى الضحيتين على الرصيف كان الفتى قد مات • ورفعت رأس الشيخ ، ففتح عينيه • أغلب الظن أنه عرفني • وهمس بصوت خافت :
- لم يصلح له ... الحذاءان اللعينان • لم يعثر على القياس المناسب ...

وانفجرت شفتاه عن ابتسامة حزينة قبل أن يسلم روحه •

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



مسرحية
يابانية

تاكاساجو

ترجمة: جميل الضحاك

مقدمة

تاكاساجو هي كامبي - ماي - مونو أي رقصة الرب وهي من مجموعة « واكي نوه » وهي مسرحيات تقدم في مناسبات سعيدة ، وتحتوي على الالحان الراقصة الفخمة وهي بقلم موتاكيو (١٣٣٣ - ١٤٤٣) الذي طور هذا الفن عن والده كيوتسو جو (١٣٣٣ - ١٣٨٤) . عبارة نوه تعني الموهبة والمقدرة وعند زيمي تدل على نوع من المسرحيات الفنائية الانيقة التي تعتمد على الرقص والغناء وأشخاصها من الآلهة (كما في هذه المسرحية) أو من محاربين قداماء .

ان هدف هذا المسرح بالنسبة لزيمي هو تفتيح (أذن العقل) بالتمثيل والمحاكاة البارة وإيقاظ العواطف النبيلة لدى الجمهور بالرقص والغناء ، ولفت النظر الى الجمال الرفيع الجمال الهادئ الحزين المبهم .

تاكاساجاو هي أحسن مثال على هذا النوع من المسرح ، وهي أسطورة فيها سروتان توأمان : تاكاساجو وسميوشي ، وترمز إلى الاخلاص للحياة الزوجية سوميوشي الروح عبرت الجبال والبحار لتؤدي زيارة ليلية لتاكاساجو الزوج السرو التي عاشت على شاطئ البحر في اقليم هارايما . ومع أن الشعر قد غدا مبيضاً ، فإن الروابط التي تربط الزوجي قد هزمت الزمن والمسافات ومنحتهما حيوية وجمالا دائمين . فضلا عن كون المسرحية رمزا للاخلاص والاستمرار فانها تشير الى الشعر الياباني المحفوظ في ديواني : مونيوشو وكوكنشو المعروفين وأهميته في الدولة وهو أحد الوسائل التي تؤكد رفاه وقوة الامبراطورية .

في القسم الاول نجد الشيخين أو الشجيرتين التوأمين يجسدان الإلهين سيموشي وتاكاساجو وتيموشي وهذه الذي يتجسد على شكل إله في القسم الثاني . وفي البدء يكون كاهن شنتو ومرافقوه في طريقهم بحرا من كيوشي الى مياكو . ينزلون في خليج تاكاساجو لزيارة سروتيا الشهيبتين . كان الوقت مساء والفصل ربيعا ، وكان هناك شيخان يللمان أوراق السروة الابرية ، وبطلب من الكاهن أرشداه الى السروتين التوأمين وسبب عنايتهما بهما . كان للحكاية عميق الاثر في نفس الكاهن فقرّر زيارة سميوشي وسأل الرجل رجل المكان كيف الوصول إليها . استقل الكاهن قاربا الى سميوشي واثّر وصوله لقيه شاب حسن المنظر نبيل المظهر . انه الإله إله المكان . وكانت أحاديث سارة .

خشبة المسرح :

خشبة المسرح مربعة بطول ١٩ قدما وخمسة انشات ، ترتفع عن الارض بمقدار ٢ قدم و٧ انشات ، له ثلاثة جوانب ، المقدمة الامامية ، المقدمة اليمينية والمقدمة اليسارية ، وهناك أعمدة تحدد أماكن الممثلين على المسرح يلزمونها في تأدية رقصاتهم وتمثيل دورهم ، فعمود واكي على اليمين ويجلس عنده أو يقف الواكي وهو الشخصية الثانية وعمود شايت في المقدمة اليسرى عند مدخل الجسر الى اليسار الخلفي حيث يلتقي الجسر بالخشبة ، والجسر طريق طويلة تابع لخشبة المسرح ويصل بين الخشبة وغرفة الممثلين يخرجون منها الى الجسر الى المسرح ويوجد على الجسر ثلاث سروات اصطناعية كعلامات أمام الممثلين يهتدون بها وإلا لاقتهم صعوبة بسبب الاقنعة ، وكذلك يوجد على خشبة المسرح « عمود تثبيت النظر » لهذه الغاية .

خلافا للمسرحيات الكلاسيكية فان مسرح نوه يحد من استعمال القناع ويقصره على الممثل الرئيسي والممثلات والمسنين ولكن هناك ما يزيد على مائة نوع من الاقنعة بحسب الدور .

المثلون :

شايت : هو الممثل والراقص والمغني الرئيسي يظهر بوجوه مختلفة وله مرافقون ويأتي بعده الواكي وله مرافقان ، والمرافقون الى جانب مهامهم الاخرى يساعدون الممثلين في تغيير الملابس لانه يتم عند الجدار

الخلفي للمسرح وعلى مرأى من الجميع • أما الكورس فدوره كما في المسرحيات اليونانية - الغناء والتعليق والشرح • والجوقة • ودور الممثل يتغير عادة بين القسم الاول والثاني • الممثل في القسم الاول قد يصبح ممثلا ثانويا في القسم الثاني وهكذا •

الديكور :

المسرح الياباني خال من كل زينة إلا الحائط الخشبي خلف المسرح مزين بصور سروات خضر وكذلك الستارة التي تفصل بين غرفة الممثلين وأول الجسر الذي يصل هذه الغرفة بالخشبة •

الموسيقى والاعاني :

دخول الممثلين إلى الخشبة يترافق بموسيقى ويرقصات حسب مايلزم :
رقصات بطيئة أو سريعة وأغان ذات تعبيرات مختلفة فمثلا :

اي سي	: موسيقى دخول الشخصية الرئيسية « شاييت » وهو
شيدي	: رقصة الواكي الشخصية الثانية
جيدوري	: أغنية الكورس
ميثي يوكي	: أغنية السفر
سائي	: تشبه التراتيل
	: يغني دوره ويمثله
ايح اوتا	: أغنية بطبقات صوتية حادة
يچ اوتا	: أغنية بطبقات صوتية منخفضة
كيوري	: موسيقى راقصة حيوية بايقاعات مختلفة

كيوس : أغنية يغنيها الكورس
ماشي اوتاي : أغنية الانتظار
كامي ماي : رقصة الرب
وبها : موسيقى افتتاحية
وتجي : أغنية حوارية

ثم ان الممثل الرئيسي يربز برجله على أرض المسرح ثلاث ربزات في نهاية المسرحية وهي علامة الانتهاء ويكون في هذا المكان تحت سقف المسرح تحت رجله طبلا فخرية تفيد في تضخيم الصوت واعطاء الصدى.

أشخاص المسرحية

<http://Archivata.Sahrit.com>

توماناري : كاهن صريح أسو (واكي)
مرافقه (اثنان)
رجل عجوز : الشخصية الرئيسية في القسم الاول (شايت)
امراة عجوز
ميو، رجل في المكان
(ميوجين) : الشخصية الرئيسية في القسم الثاني (شايت)
المكان :
في القسم الاول : تاكا ساجو في اقليم هاراما
في القسم الثاني : ساميوشي اقليم ستسو
الفصل : الربيع

القسم الاول

(بينما تعزف موسيقى البداية « شيداي » يتقدم الكاهن تموناري يتبعه تابعان يقفان مقابله • تموناري يرتدي لباس الرأس ورداء حريراً (كيمونو) مخططاً وخرامة بيضاء فضفاضة ومفتوحة • والتابعان يرتديان لباساً مشابهاً) •

تموناري والتابعان: اليوم نرتدي ثياب السفر

« شيداي » اليوم نرتدي ثياب السفر

طويلة رحلتنا •

ARCHIVE

الكورس : اليوم نرتدي ثياب السفر

« جيموري » طويلة رحلتنا •

<http://Archivebeta.Sekitoo.com>

توماناري والتابعان : اليوم نرتدي ثياب السفر

اليوم نرتدي ثياب السفر

طويلة رحلتنا •

توماناري : أنا توماناري كاهن مقام أسوفي اقليم كيوشو • لانني لم

أر قط ساكو فقد عزممت أن أسافر هناك وسأعتمد

الفرصة لزيارة شاطئ تاكاساجو في اقليم هارايما •

توماناري والتابعان : الآن بثياب السفر

نستقل قارباً

نبدأ رحلتنا الى مياكو البعيدة
أنسام الربيع تملأ بطون أشرعتنا
نحرق أمامنا
نحرق خلفنا
فلا نجد سوى الغيوم والبحر
ماكان بعيدا بعيدا
نراه يقترب
وأخيرا ٠٠٠ ها قد وصلنا تاكا ساجو

توماناري ✽ على عجل نيسافر ٠٠ ها قد وصلنا تاكاساجو لنتوقف
قليلا ونستفهم عن المكان . يتحرك نحو عمود واكي (١)
http://Archivebeta.Sakhril.com
التابعان : كما تريد سيدي

٢

(بينما تبدأ موسيقى « إيس » نرى العجوز حاملة مكنستها يتبعها
رجل عجوز بمعزقه يجمع الاوراق يظهر على طريق الجسر . المرأة تتوقف
عند السروة الاولى والرجل عند الثالثة . المرأة تلبس قناعاً وجه امرأة

(١) لكل مكانه على خشبة المسرح ، وهي على شكل مربع ولها طريق طويل على شكل جسر فيها
ثلاث سروات اصطناعية واعمدة كلها علامات لكي يقف الممثلون كل في مكانه ويهتدوا بالعلامات
لانهم يلبسون الاقتعة .

عجوز وشعرًا مستعارًا ذهبيًا وكيمونو خارجيًا تحته كيمونو آخر ورداء واسع الاكمام • وخراطة فضفاضة مفتوحة ()

الرجل يلبس وجه شيخ وشعرًا مستعارًا وكيمونو داخليًا ورداء واسع الاكمام وخراطة فضفاضة مفتوحة ()

المجوزان : أنسام الربيع تهب وتتهامس مع شجرة السرو في «آسي» تاكا ساجو •

النهار أغلق الباب على نفسه

وهذه أجراس الهضبة تعلن قدوم الليل (١) •

المرأة المجوز : ذرات السديم تكتنف الموجات

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

المجوزان : التي تنبىء أصواتها عن مد وجزر

الرجل المجوز : « من ذاك على اليسار يبدو أنه يعرفني جيدًا ؟ »

تتقدم المرأة الى وسط المسرح

ويتقدم الرجل الى مكانه «عمودشايت»

انها سرورة تاكاساجو

مع أنها جليلة حقا

لكنها ليست صديقة أيامي الماضية (٢)

(١) العادة أن تقرر الاجراس في الليل تحذيرا للسكان ان يطفئوا النيران قبل النوم وتوقيان الحرائق.

(٢) الشعر لـ فيوجي وارا وكيكاز (ديوان الكوكنشو).

المجوزان

: سنون لا تحصي مرت

أرخت على رأسينا وشاحاً ثلجياً

وكطائر مالك الحزين العجوز في صباح ربيعي صقيع

تحت ضوء القمر الشاحب

نستفيق من على حصيرتنا على وشوشة شجرة السرو

المألوفة.

لحن

: نتواصل بقلبينا - وتتدفق أفكارنا أشعاراً.

أنسام الشاطئ هي ضيفنا الوحيد

تهميس لشجرة السرو ومن الشجرة

تنهمر الأوراق الخالدة على أكامنا

المكنسة في اليد

لنكنسها

لنكنسها

لحن

: وهنا في تاكاساجو

هنا في تاكاساجو

ويوماً عن يوم

تشيع الشجرة وتكبر

ونحن من تحتها نكنس الأوراق المتساقطة

هل سنعيش لسنين كثيرة

كشجرة السرو العتيقة

في ايكي الشهيرة

في ايكي الشهيرة (١)

يتحرك الرجل الى منتصف الخشبة

والمرأة الى المقدمة اليمينية

(مكان الواكي)

٣

توماناري : اننا بانتظار اي قروي، انظر هناك امرأة ورجل عجوزان

ينهض

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عفوكما ... عندي سؤال

الرجل المعجوز : هل تكلمني ؟ - ماذا تريد ؟

توماناري : أرجوك أخبرني عن سروة تاكاساجو

الرجل المعجوز : هذه هي سروة تاكاساجو التي ترانا نكنس تحتها

توماناري : سروتا تاكاساجو وسيمونوشي : يقال أنهما توأمان،

فكيف يصح هذا وهما في مكانين مختلفين ؟

(١) شجرة ايكي حسب الاسطورة - زرعها الامبراطور جنكو في بداية القرن الثالث عند جبلته على كوريا .

الرجل العجوز : أنت على حق ، في مقدمة كوكنشو جاء مايلي : سرورة
تاكاساجو وسرورة سيمينوشي توأمان ، أنا أتيت من
سيمونوشي في اقليم ستسو وهذه المرأة من سكان
تاكاساجو . اذا كنت تعلمين (ملتفتاً الى المرأة) أي
شيء عن هذه السرورة فاخبري الكاهن .

توماناري : شيء غريب على ما يبدو

هذان الزوجان المعمران يسكنان في مكانين منفصلين ،
هو في سيمونوي وهي في تاكاساجو ! أخبرانا أرجوكم
كيف حصل هذا .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakib.com>

المرأة العجوز : كلامك غريب !
رغم أن أميالا من اليابسة ومن البحر تفصل بينهما
فان قلبي الزوجين يؤلفهما الحب
ولا تفصلهما المسافات

الرجل العجوز : ولتعلم

اذا كانت سروتا تاكاساجو وسميونوشي
رغم أنهما لا يخالجهما شعور
فانهما توأمين
فبالأحرى نحن الاثنان
هذه المرأة العجوز وأنا ؟ من عدة سنوات

ومن سيموشي أجيء لكي أزورها
كتلك السروتين التوأمين
قد تقدمت بنا السنون
زوج وزوجة يجمعهما الحب

توماناري : كلماتك تدهشني كثيرا
فهلأ أخبرتني بخبر هاتين السروتين السالف ؟

الرجل المعجوز : طبقاً لما أخبرنا به سكان المكان
فانهما رمز للحكم الامبراطوري الميمون

المرأة المعجوز : تاكاساجو في أيام مانياشو الخالية
الرجل المعجوز : سميوشي في عهد امبراطورنا الحاضر (١)

المرأة المعجوز : والخضرة الدائمة للسروتين
الرجل المعجوز : رمز فن الشعر المزدهر ، الاثير لدى جلالته

توماناري : حكايتكما جد نبيلة
قد بددت كل شكوكي

الرجل المعجوز : تحت أشعة الشمس الدفيئة جانب البحار
توماناري : في سيميونوي

(١) الامبراطور دياجو (٨٩٨ — ٩٣٠) وبامره جمع كوكسو ديوان الشعر الياباني .

الرجل المعجوز : في تاكا ساجو

توماناري : ترتدي السروات الخضرة خضرة مدهامة

الرجل المعجوز : أيتها الايام الهنيئة

من أيام الربيع

(بينما يبدأ الكورس ، تجلس

المرأة المعجوز قبالتهم)

الكورس : حين يخيم الهدوء على البحار الاربعة

« ايج اوتا »

ويعم العالم السلام

والانقسام الرقيقة ، تكاد تحرك الاغصان

وفي عهد كهذا

فالسروتان اللتان ولدتا معا

تتقدمان بالسن معا

تبدوان سعيدتين في عهدنا هذا •

عبتاً تجهد الكمات لتعبر

عن مدى السعادة التي ظفر بها

كل من عاش في هذا العهد الميمون

كل من عاش في هذا العهد الميمون •

(توماناري يجلس)

ع

توماتاري : زدني أرجوك عن سروة تاكاساجو المباركة

الكورس : يقول الناس ليس للأشجار والنبات أرواح
« ميوي » ومع ذلك ففي الفصل الملائم تزهو ثم تثمر
في شمس الربيع الدفينة
والأغصان الجنوبية تتفتح قبلا

الرجل المجوز : لكن شجرة السرو

في كل أيام السنة « ساشي »

ولابد لا تتغير

الكورس : رغم أن الربيع يرحل والشتاء يجيء

فخضرتها تبقى

بالتلج تزداد خضرة

« عشر مرات ستبرعم هذه السروة » (١)

هكذا قالت النبؤة •

الرجل المجوز : في هذا العهد الميمون

الكورس : هذه كلمات كالدرر ، كحبات الندى في الفجر

تستنير بها عقول شعبنا

(١) يقال أن السرو يبرعم كل عشرة آلاف سنة وهنا تعبير عن الرغبة في إطالة عمر العهد.

الرجل المعجوز : وتوقظ لدى الجميع

الكورس : حب الشعر

لانه كما كتب شونو(١)

« ميوس » « كل أصوات الطبيعة

مشحونة بالشعر

العشب والشجر

العشب والشجر ، التراب والرمال

حفيف الاشجار خريف المياه

كل واحدة منها تحتوي العالم فيها

غابات الربيع تنشط مع الريح الشرقية

حشرات في الخريف تصر في الاعشاب الندية

أليس كل منها قصيدة

غير أن السروة من بين الاشجار كافة

هي الاسمى

لها طلعة نبيلة

لا تتبدل على مر الايام

وخضرتها الدائمة

تبقى لآل سنة

(١) شاعر من القرن الحادي عشر والابيات النثرية من مقالته حول الشعر .

وحسناً فعل جلالة الامبراطور شين(١)
حين خلع عليها رتبة رفيعة
وكما في بلادنا ففي بلدان آخر
يهب الناس لتكريم السرو

(ينهض وبيده المعزق)

الرجل المعجوز : في تاكاساجو جرس أونو يقرع (٢)

الكورس : هو الفجر والصقيع قاس
ومن ثم فان الاوراق الخضراء لا تعاني من شيء
ونحن صباح مساء
نكنس الاوراق الابرية بعيداً

(المعجوز يمثل بحركات وكأنه

يكنس الاوراق)

لكنها معين لا ينضب
ومن ثم تعود أكثر خضرة
من بين كل دائمات الخضرة

(١) يقال ان الامبراطور شين ٢٤٦ - ٢٠٧ ق.م سعد الجبال وعندما عاد نازلاً هبت عاصفة
فاختفى بشجرة السرو فثبت فروعها وصارت له ملجأ فمنحها رتبة امبراطورية كمكافأة .

(٢) من قصيدة لأونو ما سافوزا تتضمن الاعتقاد السائد انه عندما يقع الصقيع فالاجراس تدق
من ذاتها .

بوركت السروتان التوأمان
كرمز للعمر المديد
وكانت أهلاً للثناء

0

الكورس : حقاً - كالسروتين بشهرتهما القديمة

حقاً - كالسروتين بشهرتهما القديمة

قد عشتما ٠ استملفكما حدائني اذن

عن تاريخكما وعن الاسماء

المجوزان : لماذا لا نحكي كل شيء ؟

نحن' روعي السروتين التوأمين في هيئة رجل وامراته

سومينوي وتاكاساجو

الكورس : مدهش هذا السر

سر السروتين الشهيرتين

المجوزان : الاشجار والنباتات

رغم أنها ليست ذات روح

الكورس : ففي هذا العهد الميمون

المجوزان : حتى الارض وحتى العشب

الكورس : يشاركنا الفخر

عيشوا بكل فخر واعتزاز تحت كنف السلام
والآن الى سيموشي أنا ذاهب
بانتظار مجيئكما •

(العجوز يمثل كمن يركب قارباً)
(العجوز يقترب من عمود شاييت
ويخرج متبوعاً بالمرأة)

قال هذا واستقل قارب صيد

مربوطاً الى حافة اليابسة
ومع أول هبة ريح

انزلق على الماء بخفة
انزلق على الماء بخفة

فاصل

(يأمر تومو ناري أحد تابعيه فيستدعي رجل المكان من مقعده على
المسرح فيتقدم مرتدياً كامينو وروب وخراطة مفتوحة • وجواباً على
سؤال من تموناري يخبر قصة السروتين التوائم ويخرج بعد أن دعاه
ليأخذه معه الى سيموشي) •

القسم الثاني

١

(يتحرك التابعان للوسط ويقفان

مقابل تاموناري) •

نوماتاري والتابعان : من شاطئ تاكاساجو ننطلق

وموسيقا ناشرين قلوبنا

« مارشي اولي » ناشرين قلوبنا

تحت ضوء القمر المتسلق قبة السماء

على المد الزاخر ننطلق

تاركين خلفنا جزيرة أواجي

ومارين بنارو النائبة

الى سامينوي ها قد وصلنا

الى سامينوي ها قد وصلنا

(يرجعون الى أماكنهم

ويجلسون) •

٢

(بينما تعزف موسيقى الدخول «ديها» نجد ميوجين كاهن سميوشي

يتقدم على طريق الجسر يأخذ مكانه قرب السروة الاولى • يلبس وجهها

مستعارا لانسان من كانتان^(١) وشعرا طويلا وتاجا مع كامينو من الحرير
المخطط بالاحمر والابيض وخراطة مفتوحة) •

ميوجين : « سنون كثيرة قد مضت

منذ أن رأيته للمرة الاولى « ساشي »

سروة سيموشي بجانب البحر

كم من العصر قد شهدت (٢) «

« ألا تعرف الرباط بيننا ؟

وكيف أنه من زمن

حلت بركتي على البيت الامبراطوري (٣) « •

أنتم يا عازفي المعبد

دعوا الموسيقى المقدسة هذه الليلة تصدح

ودعوا الرقص والطبول

جميعاً تفرح قلبي

(مميوجين يرقص بينما تنشد

الابيات التالية) •

الكورس : من أمواج البحر الغربي

(١) انسان كانتان : نبيل حسن المظهر .

(٢) من قصيدة لآحد الإباطرة كان قد ألفها اثر زيارته لمعبد سيموشي

(٣) من قصيدة لإله سيموشي — حين ظهر . كرد على قصيدة الامبراطور السابقة .

التي تضرب شاطئء أوكي - جا - هارا
قد انبثقت أنا الإله نفسه^(١)
هذا هو الربيع وهذه ثلوجه الذاتية
تنحدر بخفة وبرشاقة على شاطئء آساكا

- | | | |
|--------|---|------------------------------------------------------------------------|
| الكورس | : | عند الصخور حيث يجمع الناس أعشابا من البحر |
| ميوجين | : | قد أسندت ظهري الى جذع سروة قديمة |
| الكورس | : | وملأت كفي بألف سنة من الخضرة الدائمة |
| ميوجين | : | أقطف أغصان البرقوق
أصفى شعري |
| الكورس | : | بينما تتساقط التويجات البيض
كثلج الربيع
على ردائي ^(٢) |

(ويرقص ميوجين رقصة كامبي -
ماي «رقصة الآلهة»)

(١) من قصيدة لكاتيناو بناء على القول ان إيرا ناجي بعد رجوعه من زيارته للعالم السفلي طهرت نفسه في مياه البحر .

(٢) من شعر ناشيانا - نو - ارتيسورا . (١٢٠١م)

٣

الكورس : أيهاذا الطيف المبارك
أيهاذا الطيف
تحت ضوء القمر المانع
أمام معبد سيموشي هناك
الإله يرقص

الجلال يملأ قلوبنا
وللصبايا الراقصات
هرج يعلو ويأتينا جلياً
وأمواء الخليج
http://Archivebeta.Sakhril.com
تعكس صورة سرورة سميوني -
انها رقصة « البحر الازرق » (١)

الكورس : قويمة طريق الآلهة وأولي الامر فينا
وقويمة الطريق الى ميako

ميوجين : الطريق التي يسلكها «العائد الى المدينة الامبراطورية» (٢)

الكورس : وهو كاس برداء السعد

(١) رقصة صينية او كورية الاصل كانت تقام في البلاط بالمناسبات .

(٢) وهي رقصة تقليدية .

ميوجين

: رداء أومي (١)

أرواح رهيبة تندفع والأذرع تمتد مفتوحة

الحياة والكنوز قد اجتمعت

والأذرع انضمت

ورقصات « الألف خريف » (٢)

تفرح قلوب الناس

« والعشرة آلاف سنة » (٣)

تمدهم بحياة جديدة

والانسام تبث لواعجها للسروتين التوأمين

فتملاً بالفرحة كل القلوب

تملاً بالفرحة كل القلوب

(ميوجين يربز بقدمه مرتين

على خشبة المسرح علامة الانتهاء)

* * *

(١) رداء أبيض مزين برسوم خضر كان يرتديه راقصو البلاط والكهان في البلاط في مناسبات مهمة.

(٢) مقطوعات موسيقية راقصة كانت تقام في ١٠٦٩ م. في مناسبات وطقوس تتعلق بالعرش الإمبراطوري

(٣) رقصة تقليدية ترجع الى عهد الإمبراطور وو (٦٢٣ - ٧٠٥) .

انتظار

ترجمة : د. ماجد علاء الدين

يوري بونداريف

لم أستطع النوم كلياً، وكان المصباح الازرق الخفيف من فوق يرسل ضوءه بهدوء ، وعربة القطار تهتز وهي تغدو قاطعة الطريق عبر الغابات التي تغمرها عتمة الشمال الهالكة . أما الصقيع فكان يرسل نسماته الباردة عبر شقوق الأرض وكأنه يشد بفراشي تارة لليمين وأخرى للشمال . ولقد شعرت بالحنين والبعد في هذه الحجرة الصغيرة التي تتسع لشخصين فقط ، وطال بي الملل حتى انني استعجلت القطار السريع ليسرع أكثر الى البيت .

فكرت بنفسي طويلا واستغربت : لقد قضيت مدة طويلة جداً وأنا أنتظر ذلك اليوم ، انتظرت كل دقيقة وحسبت الزمن بالثواني وطاردته بصبري الدائب ! ويطرح سؤال : ما الذي انتظرته ؟ وإلى أين كنت أستعجل الزمن ؟ وإلى أين أسرح يا ترى ؟ لقد استغربت كل هذا لدرجة استخفاف نفسي . ففي الشباب لم أحسب للزمن حساباً وكنت أشعر أن العالم من حولي سعيد بكل ما فيه ، أما الآن ، وأنا أعيش هذه الحياة

البطيئة لم أشعر فيها إلاّ بساعات قليلة بنوع من السعادة ، وكل ما تبقى فواصل زمنية طويلة لهدف فيها ، ومسافات دون نهاية لانفع منها ، وترحال سريع بين موقف وآخر .

في الطفولة ، أحببت أن يمرّ الزمن بسرعة لأستلم الهدية من والدي في عيد رأس السنة . وأستعجل الأيام والساعات بفارغ الصبر كي أراها وهي تسير في طريقها حاملة حقيبتها متبخرة بثوبها الشفاف وجوربها الابيض الناصع . لقد انتظرت هذه اللحظة التي تمر فيها ، ثم أختفي كالشمعة التي تذوب بسرعة ولم يبق مني سوى ابتسامة بسيطة لعاشق ولهان . وكنت أشعر بسعادة وتلذذ لرؤية أنفها الشامخ ووجهها المرشوق بنمط قليل . وكانت عيناها تودعان بحب ناعم صغيرتيها المنسابتين على ظهرها المشدود العامر . وكانت تلك الدقائق القصيرة هي كل ما في الحياة عندما كنا نلتقي في أيام الصبا . وأجمل الساعات تلك التي اجتمعنا فيها الى جانب المدفأة البخارية ، حيث تحسست دفء جسمها ، ونعومة وجهها ، وطيب القبلات مع تلك الشفتين الرطبتين المنتفختين ، واللتين لا ترتويان . . . لقد كنا شابين في ريعان الصبا ودفئه ، تملؤنا القوة والحيوية ، لكننا غالبا ما كنا نذوب أمام تلك الرقة التي تعذب أجسادنا ، والتي تقتصر على حد معين . لقد تمتعنا في هذا العذاب رغم طوله وعرضه . لقد جلسنا سوية جانب بعضنا البعض ، فركبتاها جانب ركبتني . ضممتها الى صدري، وقبلتها بحرارة وهي بالمثل ، ونسينا البشرية ومن فيها . ووقفنا العديد

من المرات على السلم تحت ضوء المصباح الخفيف ، لكننا كنا نصل الى نقطة معينة ونشعر بالحياء يسيطر علينا بكل ما له من هيبة •

انقشع الظلام ، وراح الضوء ينتشر من خلف النافذة ، ووقفت الكواكب ومن ضمنها الارض عن الحركة • وامتنع الثلج عن السقوط فوق أزقة منطقة موسكتوريتشيا الساكنة ، والتي سحرها الفجر بطلعته • ثم عاد الثلج للسقوط ليغطي الارصفة والشوارع • وغابت الحياة عن الوجود ، وغاب الموت من قوانين الطبيعة لأننا لم نفكر الا بالحياة ، وسقط سلطان الزمان والمكان عن عرشه في نظرنا • لقد كنا نحتفظ بشيء خفي وأساسي منه تولد الحياة الاخرى والموت الآخر وهما مجردان كلياً عن مفاهيم الزمن وثمنه في القرن العشرين • وها نحن أولاء نعود معاً الى أغوار الماضي البعيد ، ونفتش فيه عن الهاوية السعيدة • عندما يحل الانسان على الارض في اللحظات الاولى لم يكن يعرف بالمحاكمات العقلانية • وفيما بعد لحظات الحب الاول التي تشد الرجل الى المرأة بقوة خفية ، وتتكشف لهما لحظات السعادة فتجرهما معاً الى الايمان بالخلود • وعلمت بعد فترة طويلة أن الحب بين الرجل والمرأة يجعل منهما الهين عظيمين تحت تأثير الحس الابداعي لكل منهما • وأدركت أن وجود إله الحب في العالم يجعل الانسان حاكماً دون سلاح ، ومترفعاً عن سفاسف الامور ، وينسجم مع الطيب الخلاق للطبيعة •

لا ، لم أفكر بهذا في ذلك الوقت • ولكنني أعرف جيداً أنه لو سئلت

أي شيء أحبذ أن أبقى معها على السلم عند المدخل وتحت ذاك المصباح الخافت لأسمع تنهداتها وأقبل شفيتها ، أو أن أقدم من عمري العديد من السنوات ؟ لاخترت ودون جدل الاول وبكل صدر رحب .

في بعض الاحيان تخطر ببالي فكرة ، بأن الحرب جعلتنا ننظر مدة طويلة لا حدّ لها . ولكن بما أن حبنا كان مجرد علاقة حب غير مؤكد حتى النهاية كان علينا أن ننتظر فرصة اللقاء ، ورغم كل الحرائق وخطوط القتال المتعددة كان خيط أمل اللقاء يعبرها جميعها ، ولا بد في بيت ملؤه الدفء والحب سيتم لقاءنا ، أو على ضفة نهر ، أو في أي مكان من الغابة ، كان يجب على لقائنا أن يتم . وطال الانتظار ونحن لا نزال تحت نيران المعركة ، وأرواحنا تحوم في ظل الموت الذي يخيم على الخنادق .

لقد نجحت ولأول مرة في حياتي بالتكلم هاتفيا مع أعز الناس ثم تحقيق اللقاء الذي طال انتظاري له . بعد الحديث وضعت السماعة (في البيت لم يكن أحد) وهتفت بسعادة في نفسي : « يا للشيطان ، جاءت الفرحة ! » قفزت ورقصت حول الهاتف كمن به مسّ من جنون . أخذت أمشي في الغرفة ذهابا وإيابا وأفرك كفاً بكف . وفعلنا لو رأني أحد في هذه اللحظات لفكر بأنني قد فقدت عقلي . وكيف لي وهذه عتبة الحياة بالنسبة لي .

انتظرت أكثر من شهر لبلوغ قمة السعادة . أبى ذلك اليوم الذي

سأشعر فيه بأنني أسعد مخلوق على الأرض ، ولو سألني أحد ، لو
طلب مني منح قسط من حياتي لقرب الموعد ، لوافقت ودون تردد :
انني مستعد لتذويب الزمن واختصاره على الأرض .

وهل كنت ألاحظ سرعة الزمن الذي مرّ عليّ كالبرق سابقاً ؟

لا ! ولكنني الآن فقط وبعد أن اجتزت مرحلة الشباب وقطعت نصف
قرن أصبحت أشعر بطول الزمن ، حتى انني لأشتهي أية ساعة من
حياتي لأعطي نفسي وروحي متعة كنت أحلم بها سابقاً . لماذا يا ترى ؟
فهل أصبحت كهلاً ؟ أم تعبت ؟ وهل شبعت من الحياة ؟

لا . بل أصبحت أفكر بشكل آخر ، وأدركت أن الطريق الى السعادة
يبدأ عند الانسان منذ ولادته وحتى موته . ولذلك فإن الوجود اليومي
في الحياة هو عيد . وهذه الافراح اليومية تسد عدسة العدم الحتمية ،
ومالي الا أن أعترف في الاخير : يجب على الانسان أن لا يستعجل الايام
حتى يصل الى نوع من السعادة المؤقتة ، فان الحياة تعطى مرة واحدة
كأجمل هدية ، فما بالنا نختصرها ؟

قَصَّتان من بورما * ترجمة: ابراهيم مجردي

أَوَّلُ يَوْمٍ بَعْدَ الْعُرْسِ || لِكُلِّ قِصَّةٍ

قِصَّةٌ : تَادُو قِصَّةٌ : مَاون تَايا

أول يوم بعد العرس

قصة : تادو

- ولد تادو (اسمه الحقيقي : و. يحيى تان) في عام ١٩١٨ .
- شارك بفعالية في حركة التحرر الوطني في الثلاثينات .
- بدأ الكتابة بعد الحرب ، وأصدر مجلة « تيسا » .
- حاز على جائزة جمعية المترجمين عن عام (١٩٥٠) .
- يعمل ، الآن ، في السينما كمخرج وككاتب سيناريو .

تسألون : أي عائلة في جنة النخبة والإغنياء « الوادي الذهبي » * أكثر

يسراً وسعادة . سيجيبكم الجميع بصوت واحد :

* الوادي الذهبي — شارع في مركز رانغون .

طبعاً ، الزوجان ماونغ تخيين تخون وتين تين خلاين ! إلا أن هذا لا يلغي أنهما منذ أن حلا في هذا المكان تعرضا لحادثة مزعجة .

أنا والقاريء سنتعرف على شابين قبل زواجهما . منذ وقت قصير خطبا لبعض ، وهما يتهيئان ، الآن ، للعرس .

- حبيبي ، أنا أعرف أنك تحبني . ولكن .. هل سيستمر هذا الحب طويلاً ؟

حاولت تين الاكتشاف وهي تنظر الى خطيبها برقة .

- تين ، يا غاليتي ، انني أشعر بالمرارة ، أشعر بالألم ! كيف تستطيعين المشك في أنني أحبك مدى الحياة . قالها وعيناه الكبيرتان المعبرتان تنظران الى الفتاة بعتاب . إلا أن تهدة تين لم تكن أمراً هيناً .

لا تغضب يا عزيزي ، فأنا لا أستطيع أن أبعد عن ذهني فكرة ، انني لست ملائمة لك ، وهذا ما يقلقني جداً .

- إن هذا بالذات ، يا حبيبتني ، ما يجعلني أراك غالية . ان أناس المحيط الواحد ، المستقلين ، المعتمدين على أنفسهم ، يسهل جداً انفصالهم ، اذا كانوا ، لنقل ، لا يتفقون في الطباع ، أو ، لنقل في المعتقدات . ولكنني ، في الحقيقة ، لا أرى في ذلك تراجيديا كبيرة ، لا سيما وأن الامور عندما تجري على نحو آخر . فأنا أحب فتاة أفقر مني وهي لا تنتمي لطبقتي . كيف يمكنني ، في هذه الحالة هجرها ؟

- هل أنت ، حقيقة تفكر هكذا ؟

- إيه ، اذا كنت ترغبين سأقسم لك ؟

ورغم كل ذلك ، كان الشاب يشعر أنه يتحدث بثقة ضعيفة ،
وشكوك تين تكدر صفوه على الدوام .

- آخر يا عزيزتي - تنهد وهو يمسح راحتيه ، وكأنه يفكر بصوت
مسموع - ، ها أنذا أقسم لك ، الآن ، بالحب المقدس ، ولو أن هذا في
أيامنا مجرد كلام ، حتى أن بعضهم يقسم بالآثار المقدسة وبعد ذلك ...
وبعد ذلك يتغير كل شيء ، حتى الانسان يتغير . أليس كذلك يا تين ؟

لقد أخلت هذه الاخاديت بتوازن الفتاة المسكينة .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

- ولهذا السبب تتأكلني الشكوك .

قالتها تين بصوت باك .

لقد عرف تخيين حينئذ انه تعثر في الوصول الى هدفه ، ولذا قرر
أن يقنع تين بحدة .

- ولكن ، تصوري ، انني تزوجت فتاة غنية ، واتضح لي بعد ذلك
اننا مختلفان ، تماماً ، ويترتب علينا الطلاق ، لكنك أقدمت على ذلك ،
دون أن أشعر بأي توبيخ للضمير . ولكن من المستحيل أن أقدم على
ذلك معك الآن .

– وماهو السبب يا حبيبي ؟

– أنت ، يا تين ، من عائلة غير غنية وما من أحد سواي يراكَ •
تخيّلني ، اننا قررنا الطلاق ، ولو بسبب اننا نفكر ونشعر بطريقة
مختلفة ، هل سأكون محقاً ؟ وماذا سيفكر الناس ؟ « انها فقيرة ،
ولذلك تعامل معها هكذا : قطع الوردة وألقاها »

– هذا يعني ، ان عدم هجرك لي ليس بسبب الحب •

وبمكر ابتسمت تين •

– لا تلاحقيني على الكلمة يا عزيزتي ! أنا أريد أن نكون معاً الى
الابد ، وأن لا نفترق بعد اليوم •

وأخيراً ، جاء اليوم الموعود ، وكان العرس ، كما يقال ، مهيباً •
ولأن الخطيب يشغل منصباً جيداً في معمل للنسيج كبير ، أثار عروسه
اهتماماً واسعاً ، فالمدعوون كثيرون ، وأهل العروسين « اندوشوا » تماماً •

وعندما انتهت المراسم في آخر اليوم ، قال والد تخين تخون
للعريس :

– لقد تعبتما جداً ، بالتاكيد ، يا ولدي • اذهبا ، اذن ، الى بيتكما •

ولا تنتظرا ، فنحن سنأخر قليلاً بالطبع •

• اكملت الأم •

وعند مدخل فندق اينيا - لييك ✽ أقلعت سيارة فيات ، وتحركت باتجاه « الوادي الاخضر » ، حيث توقفت بعد حين أمام منزل جميل تحيط به حديقة .

القاريء - بالتأكيد - يظن ، الآن ، من جاء بالسيارة .

قرر العروسان حال وصولهما الى البيت فك هدايا العرس ، حيث أخذت تين قراءة أسماء المرسلين أما تخين تخون فقد أخذ يكتب الاسماء في دفتر خاص ، لان عليهما أن يكتبا رسائل شكر للمرسلين .
لقد تسلما عدداً من الهدايا لا يحصى .

ARCHIVE - انظريا عزيزي -

صاحت تين ، فجأة ، وهي تخرج من مطروف « رسالة » وورقتين سماويتين . دفعت بهما الى زوجها الذي أخذ يقرأ :

« أيها الصديقان العزيزان

لقد فكرت طويلا فيما أهديه اليكما في عرسكما . ولأنني ، للأسف ، لست غنيا ، فان الهدية الثمينة ليست بمقدوري .

انني واياك ياتخين تخون لسنا إلا رفاق دراسة ، ولكنني أحبك كاخِي ، ولهذا أريد أن تبقى هديتي في ذاكرتك مدى الحياة . أرسل

✽ يقوم فندق اينيا - لييك في راتفون على شفة بحيرة تحمل الاسم نفسه .

اليكما بطاقتي سينما ، وربما ، لهذا ستندهشان ، لا سيما اذا كانتا لا تساويان سوى « دجا » ، ولكنني آمل أن تتحول هذه السبعة الى سبعين ، الى عوائل ، وربما الى سبعة آلاف ٠٠٠ انني أرجوكم بحرارة أن تشاهدا فيلم تادو أول يوم بعد العرس ، لأن تادو متخصص في القضايا العائلية ، وفي الفيلم تجدان أكثر الافكار عصرية عن الزواج والعائلة .

ربما رأيتما الفيلم من قبل ، أو أنكما في شغلٍ عن الافلام . ولكن مع ذلك أرجوكم بحرارة :

ARCHIVE

شاهدا الفيلم !

فأنتما ، الآن ، مقبلان على قرآن ، ولربما تفهمانه بشكل آخر .
أوقف تخيين تخون القراءة وفكر .

– من يمكن أن يكون هذا ؟

سألت الزوجة

– لا أملك تصورا !

قالها وهو يبرم البطاقات في يديه .

– إنه لمؤثر أن يبعث الينا بهدية .

تفوهت تين وهي تكمل قراءة الرسالة .

كانا يفكران وبآلية ينظران الى الورقة ، وفجأة ، وكأن إلهاما
استيقظ في رأسها :

- قل لي ، وهذا الخط أليس معروفاً لديك ؟

- أرني ! انه على الأرجح ، يشبه خط باوشاونا •

- همس الزوج ، وهو ينظر الرسالة بانتباه - إنه ، دائماً ، يتميز
بالغرامة •

- وهل كان في حفل الزفاف ؟

- لا أعرف • في الحفل لم أر غير خطيبته !

- أنت تمزح ! - وتألقت من فرحها تين - ولكن الهدية ، فعلا ،

غريبة • واختيار الفيلم ، أيضاً ، حتى أن يوم العرض يتطابق !

ضم تخمين تخون زوجته ، ونظر في عينيها ، وسأل :

- بماذا تفكرين يا عزيزتي ؟

- تصور أن الفيلم يسمى « أول يوم بعد العرس » والبطاقتان

ليوم غد ••

وصممت تين مبتسمة •

- فعلا ، غداً هو أول يوم بعد عرسنا ! انه لأمر غريب جداً ورغم

كل شيء توجه العروسان في اليوم التالي الى دار السينما •

أظلمت .

وغاب البيت في العتمة ، إلا أن خيطاً رفيعاً في الضوء كان يظهر في النوافذ المظلمة ، وكأن ، هناك ، من يتجول في الغرف مع مصباح يدوي .
حلّ منتصف الليل . ولم يعد العروسان بعد .

من المحتمل انهما ذهبا ، بعد الفيلم ، لتناول العشاء في مطعم .
ولكنهما آخر الأمر عادا .

قفز العريس من السيارة ، وساعد زوجته على الخروج . ودخلوا
واياها البيت متباطئاً ذراعها . وواحدة تلو الأخرى أضيئت النوافذ نوافذ
الصالون ، نوافذ غرفة الضيوف ، ونوافذ غرفة النوم .

اقتربت تين من الخزانة الزجاجية ، وفتحت أبوابها . تجمدت فاعرة
فاها . ولهول ما رأت لم تستطع النهوض . كانت الخزانة الكبيرة التي
جمعا فيها البارحة هدايا العرس فارغة تماما . لأن ما كان فيها من
أشياء يساوي ، على أقل تقدير ، ألف وخمسمائة دجا !

أخذ تخين تخون يهدى زوجته وكان مبهوتاً مثلها . وعندما عاد
العروسان الى نفسيهما قليلا ، توجه العريس الى خزانة ثيابه ، وفتح
جميع أدراجها ، الواحد تلو الآخر ، تأكد أنها جميعا فارغة .

وفي الوقت نفسه كانت تين تنظر علاقة ثيابها ، حيث لم تجد
شيئاً عليها ، البتة سوى ورقة تقول :

« أصدقائي !

لعلكم تتساءلون ، الآن ، عن إرسال اليكم البطاقتين ؟

مع الشكر

ضيف الليل

لكل قسمته

قصة : ماون تايا

□ ماون تايا — ممثل موهوب للجيل الثاني من الكتاب البورميين .

□ حاز على جائزة أفضل رواية لعام ١٩٦٩ <http://Anci1969>

من أين جاء ، لا أدري ، ولا أين ذهب ، لا أدري .

كل ما نعرف ، انه كان بيننا ، قبل حين ، وفجأة ، لم يعد . هكذا

في رمشة عين .

طار الفصن عن جذعه

قد تعرف نجوم السماء السر ؟

ولكن النجوم اختفت خلف الغيوم ، غابت عن العين ، وغاب معها

السر عن الناس .

ولكن النجوم كانت تشع بقوة ليلة البارحة •

ولكنها قد لا تكون نجوما ؟ انني لا أذكر شيئاً ، ولا أعرف شيئاً •

لقد ولد البارحة وفجأة مات • حتى انهم لم يجدوا وقتاً لاعطائه اسماً ، أو يلبسوه الثياب التي أعدتها له أمه بعناية ، أمه التي لم يلمس صدرها سوى مرة واحدة •• حتى البيت الذي كان يمكن أن يعيش فيه حدوده له ، والمدرسة التي كان يمكن أن يتعلم فيها ، كانت بانتظاره ، أيضاً ، وكان بإمكانه العثور على الفتاة التي ستصبح زوجته •

لماذا ، اذن ، كان الموت يتهياً له بدل الحياة ؟

ان طريقه من الولادة الى الموت كان قصيراً ، كأنه دفقة ضوء غمزت في مكان ما من الليل • <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ماذا نفعل ، ونحن من لا نستطيع تقصير الحياة أو تطويلها ، لأن لكل منا قسمته المكتوبة •

ممن يستطيع ، في هذه الحال ، تبليغ (ماتخا) بالمصيبة التي حلت بها ؟

ان زوجها نفسه لم يستطع ذلك ، لأن زوجته تعزّ عليه ! لذلك ظل متماسكاً جداً ، ولم يذرف دموعاً واحدة •

لقد قرر أن يخفي الحقيقة عن (ماتخا) ولو لوقت قصير •



لولا أن الطفل لم يمّت ، لكان بانتظاره مصير* محزن • فقد ولد
وقلبه مريض •

وما أن ظهر للوجود حتى بدا كليلاً ، فصدره يرتفع بصعوبة ،
وضغطه ينبض بغير انتظام ، وجلده كان أزرق اللون •

لقد كان الموت بالنسبة اليه خلاصاً •

مات دون أن يعرف شيئاً من التعلق أو الحب أو العذاب • ولهذا كان
سيان لديه الموت أو الحياة •

أما القضية الأخرى فقد كانت الأم ، فلقد مرّ على زواجها ثمانية
أعوام دون أن ترزق طفلاً • راجعت الأطباء والسحرة وتناولت الادوية
والاعشاب المختلفة ، وكل ذلك لم ينفعها بشيء • وأخيراً شعرت بأنها
حامل في وليدها البكر •

« هل من المعقول أن ألد طفلاً ؟ »

فكرت (ماتخا) بذلك ، خشية الاستسلام للسعادة •

لقد أصبح تفكيرها منصباً على الوليد • وهاهي ، الآن ، تشاور
الأطباء وتنفذ وصاياهم بهمة ، تذهب الى المستشفى كل أسبوع •
أقلعت عن لبس الاحذية ذات الكعب العالي خوف الانزلاق ، حرمت
نفسها من طيب الاطعمة ، التي كانت تتصور أنها مضرّة للطفل ،
وأصبحت تراقب نفسها في الليل ، أيضاً ، تغير وضعية نومها ، على

الدوام ، وخصوصاً بعد أن هجرت سريرها الهزاز ، كل ذلك ، مراعاة
لخاصرتها التي قد تتعب .



أغلب النساء يعملن . فان لم يكنّ موظفات ، فانهن ، على الغالب ،
يمارسن الاعمال المنزلية : يطبخن ، ينظفن ، يغسلن ، إلا (ماتخا)
فانها لم تعرف العمل ، فقد كانت لها ، وهي التي تعيش في كفاية ،
خادمة ، وأوضاعها المادية تسمح لها الولادة في مستشفى خاص لكنها
ولسبب ما ، كانت تثق بالمستشفى العام ، ولهذا أخذها زوجها اليه
عندما اقترب بوقت الولادة .
امراة مدلة متأنفة .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقد اكتمل تماماً حمل (ماتخا) ، هنا ، وأصبحت قصيرة للغاية ،
وصارت تأكل من طعام المستشفى غير اللذيذ بلذة ، ولم تكن ترفض
الخضروات غير الطازجة التي لم تكن تعطيها حتى للخادمة .

ان ولادتها لم تكن سهلة . فهي ، في الحقيقة ، لم تعرف أبداً قوياً
في حياتها كهذا الذي عرفته ، فلقد غطاها العرق ، ومن وقت لآخر ،
كانت وكأنها ستفقد الوعي ، ومع كل ذلك ، لم تلعن (ماتخا) الزوج ،
ولم تستعن بوالدتها ككثير من النساء الراقصات حولها . كانت تغالب
وهي تصر أسنانها ، وبصمت ، كانت تكابد الأم الولادة ، الدموع المنبجسة
من العينين كانت ، وحدها تشهد على صعوبة ما تمر به .

ان (ماتخا) تعلم أن زوجها في مكان قريب منها ، ولهذا تتأسف ، لأنها لا تستطيع في هذه اللحظة ، أن تمسك بيده لعل ذلك يخفف عنها . ولكن لا يهم ، فقد هيأت نفسها للأسوأ ، حتى للموت ، دون أن تشعر بالخوف . نعم . . . لقد حاولت (ماتخا) ، في البداية ، أن تفكر بزوجها ولكن الألم الذي طغى بعد ذلك ، جعل الأفكار تطير من رأسها حيث غامت عيناها ، وبدأت وكأنها تسير الى مكان ما مجهول . وعندما هدا الألم قليلا ، استحوذت الغيبوبة على المرأة المعذبة ، وهكذا ، وبعد معاناة طويلة ولدت (ماتخا) طفلها ، وصارت تغمض عينيها بهدوء وسعادة .
آه ، من لديه القدرة ليخبر الام عن موت طفلها !

في هذا الوقت ، كانت ترقد بجانب (ماتخا) امرأة بياعة ، تظن (ماتخا) أن حياتها صعبة ، ففي هذا الصباح بالذات ، كانت هذه المرأة تعرض بضاعتها في « البازار » ، وما أن شعرت بالآلام المخاض ، حتى أودعت بضاعتها عند أحد الباعة المتجولين ، ورجته أن يوصل للبيت حصيلة اليوم ، وتوجهت وحيدة للمستشفى ، دون أن تذهب للطبيب ، الذي لم تزره ولو مرة واحدة كل فترة الحمل . وكانت تحمل بعض « الفيارات » ، وخمسين « بيا » من النقود ، ولم تهتم بالثياب النظيفة أو المُنشفة .

« يجب أن أقول لزوجي ، بأن يجلب لهذه المرأة الفقيرة بعضاً من ثيابي القديمة » بهذا كانت « ماتخا » تفكر ، في الوقت الذي لم تقلق

البياعة لذلك ولو قليلا . ومما زاد في دهشة (ماتخا) أن زوج المرأة أو أحداً من أقاربها لم يزرها ولا مرة واحدة ، بل انها لم تنتظر حضورهم إطلاقاً ، فلقد تركت أولادها الخمسة في البيت في رعاية أقاربهم ، وتعرف أن زوجها الحلاق لا يستطيع ترك عمله . وهاهي ، الآن ، ترتاح قليلا في المستشفى ، فالأكل فيه أفضل مما هو عليه في البيت . ولذا ، لا لزوم لحضور أحد منهم ، خاصة وأن المجيء يكلف « دجا » بالتمام .

على العموم ، كانوا يعيشون هكذا ، على الدوام ، قلما قلق بعضهم على بعض ، ومع ذلك ولد الطفل معافى ، ممثلىء الجسم ، وبعد يومين من ولادته خرجت المرأة من المستشفى وهي تضم الصغير الى صدرها ، وقبل الخروج لم تنس خلع رطب المستشفى . حيث تناولت من تحت وسادتها تنورتها القديمة لترتديها . ولأنها لم تكن تملك ما تدفعه ثمناً للغسيل ، فقد كانت التنورة وسخة ، ولانها لم تجد ما تلف به الطفل ، فقد غطته بكنزتها ، الا أن (ماتخا) لم تنس أن تقدم لها في هذا الوقت قماطا ، بينما ضيفتها الجارة الاخرى قهوة وكعكا مما جلبه لها الامل ، وأعطتها ، أيضا ، عند الوداع « دجا » من أجل أن تذهب الى البيت في الباص .

في زاوية الغرفة ، حيث كانت (ماتخا) ، هناك امرأة لم يزرها زوجها ولا مرة ، ولذا كانت تبكي دائما . ان زوجها طبيب* وهي ممرضة ، وهذا ما جعل (ماتخا) تستغرب من عدم زيارته لزوجته ، وكانت بها رغبة للسؤال ولكنها لم تفعل .

ذات مرة ، زار المرأة الجيران ، جلبوا لها كعكاً وحقيبة من اللباس و
٢٠٠ (دجا) ، وأخبروها أن زوجها لا يريد طفلاً ، عليها ، اذن ، أن تترك
الوليد في المستشفى والا فهو لن يستقبلها في البيت . وعندما حان
وقت الخروج من المستشفى لم تعرف المرأة المسكينة ماذا ستفعل .

« اذا تركت الوليد ، هنا ، فيسلموه ، لدار الايتام ، وقد يقع بيدي
أزواج لا ينجبون ، عندئذ لن يعرف أمه ، كما أنهم لن يخبروني عن
أخذه » . كانت المرأة تفكر بذلك عندما وقع نظرها على (ماتخا) ،
المرأة الغنية التي سمعت بموت طفلها ، ولم يخبرها أحد بذلك . وعلى
الرغم من معرفة المرأة بأن اعطاء طفل بشكل غير قانوني محرم ، فقد
قدمت طفلها (لماتخا) .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

من شعر يوردان ميليف

ترجمة: ميخائيل عيم

يوردان ميليف شاعر بلغاري معروف واسع الثقافة ومتعدد أنواع النشاط الأدبي . فهو يكتب الشعر والمقالة والقصة الموجهة للأطفال كما يسهم بنشاط كبير في الترجمة شعرا الى اللغة البلغارية. وهو متأثر بالثقافات الشرقية إضافة الى إلمامه الواسع بثراث شعبه الثقافي وتراث غيره من الشعوب الأوروبية .

أسهم يوردان ميليف في ترجمة مختارات من شعر عمر الخيام ونظامي وغيرها من شعراء آسيا الوسطى البارزين ويميل غالبا بنشاط في ترجمة مختارات من خبريات الشاعر العربي الكبير أبي نواس بالتعاون مع المستعربين البلغار .

يوردان ميليف من مواليد ١٩٢٢ .. وقد زار قطرنا العربي السوري في الشهر الثاني عشر من عام ١٩٧٧ والتقى بالعديد من كتاب القطر وشعرائه . وعاد الى صوفيا ليبادر الى ترجمة عدة قصائد مختارة من الشعر العربي السوري المعاصر وقد صدر بعضها في ملف خاص في مجلة «المعاصر» البلغارية وهي من أهم المجلات الأدبية ، كما سيصدر بعضها الآخر تباعا في الصحف والمجلات .

يتميز شعره بغنائية عذبة وشغافية صائبة وبالعُمق .

قصيدة شرقية

« الى بوجيدار بوجيلوف »

واحة في قفر

زهرة نادرة

بيضاء كالبرق قبيل الرعد

عاشت في زمن ما

عبر القرون

الحسنة بيبي خانم

أجمل نساء تيمور !

□ □ □

وحين مضى قائد الكتائب العظيم

ARCHIVE
بجيشه اللجب
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

باحثاً عن ذهب الهند

قررت أن تخلد جمالها

في جامع ضخمة

يشاد على تل افروسياب •

توافد أشهر البنائين

الى هناك

وراحوا أثناء الليل والنهار

يبنون فكرة مهندس معمار شاب

ستتعرفون اليه جيداً

في خاتمة القصيدة

□ □ □

واحة في قفر

زهرة نادرة

بيضاء كالبرق قبيل الرعد

عاشت في زمن ما

عبر القرون

الحساء بيبي خانم

- هل اكتمل الجامع

أيها الفنان الشاب ؟

طرحت عليه هذا السؤال

حين أحست

أن تيمور يقترب بجنوده

من أسوار سمرقند
وابتسم الذي وجهت اليه السؤال
بدهاء

ثم أجاب :

- لم يبق سوى القوس المركزي
وسيكتمل في اللحظة

التي ستسمح لي فيها

بتقبيل أجمل امرأة

في العالم

□ □ □

كانت مغرمة جدا

بزوجها القبيح

فظلت بيبي خانم طويلا

ترجو الفنان

ألا يطلب هذا .

جميع النساء سواء !

ولكي تقنعه

حملت اليه طبقاً

عليه بيض

بأصباغ متنوعة

وأجبرته

على كسر بيضتين

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وجواباً على ذلك

أعطاهما كأسين

في احدهما « عرق »

وفي الأخرى ماء

وقال :

- وهاتان الكأسان

متماثلتان شكلاً

ولكن لهما طعمين مختلفين
ومن ثم صمت
فوضعت يدها على وجهه
ولكن قبلته كانت حارة
بحيث تركت على شفتيها القرمزيتين
ندبة قاتمة



واحة في قفر
زهرة نادرة
بيضاء كالبرق قبيل الرعد
عاشت في زمن ما
عبر القرون
الحسناء بيبي خائم
□ □ □

- هل أعجبك الجامع

يا تيمور ؟

وقف طويلاً باعجاب

أمام الجامع وأمام زوجته

دون أن يجد الكلمات

التي توفي جمالهما حقه •

كانت القبة فريدة

لولا قبة السماء

وكان القوس فريداً

لولم يكن درب المجرة

على شاكلته •

□ □ □

وضايقه

صمت زوجته

غير المعتاد ••

استدار نحوها

واكتشف نظره الضيق الثاقب

ظلاً غريباً

فوق شفتيها القرمزيتين ..

وغضب غضباً لا حدود له

فاندفع عدد لا حصر له من الحرس

مقتفين آثار

الفاعل

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الذي تسلق

أحدى أكثر المآذن

ارتفاعاً ..

ولم يعثروا

على أي أثر

للغنان الشاب ..

□ □ □

شاطيء

استيقظت

ذات يوم من أيام حزيران

وقد انعكست

على حبر الماء

تستلقي فوق

غيمة موبرة

تشبه جعبه

ضمت تنهدات السماء •

تلك هي أيامي الخوالي

التي تبخرت دون أن أشعر ،

أمسكت الشعاع الداني

وبريته بالريح

ثم كتبت

على حقل الرمال الاصفر :

أيتها الصخور المنسية

فوق قاع البحر

وفي روعي

أيتها الصواري

المتكسرة من تذكارات

الشواطئ النائبة

ومن عواصف الاوقيانوس

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أيتها القواقع

الفارغة مثل لحظة معاشة

كلك لي !

ولي همس البحر

ولي الموجة المتلاشية ..

وأثمن الأشياء

ذاك الذي

لم يعد له ثمن

قصيدة الى فارب يوناني غرق قرب سواحل إختوبول

قارب دون مسافرين !

دون طاقم

يقف صامتاً قرب الصخور

متأرجحاً مثل شجرة

أضاعت جذورها ،



دون راية ، دون اسم

وقد أصبح بعد أن تحطم

ملكاً لعواصف البحر

محزن أن تنظر الى الصاري الأبيض !

انه منحن

كيد

ترسل تحيتها الأخيرة

للقوارب التي تمر مدانية •

□ □ □

أين هم البحارة ؟

- أوى بعضهم

الى الدفاء

في بيوتهم

والآخرون ؟

- امتلأت قلوبهم القوية

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

بحب البحر

ولهذا

غاصت الى قاعه

ولكن

لا تظنهم هلكوا !

فكرة بليدة هو الموت •

انهم ما زالوا يسبحون

في أوقيانوس أفكارنا

أما هذه الألواح
(هكذا يدعو البحار العتيق
بقايا القارب)
فقد قذفتها المياه الى هنا
لتشير الى عدم جدوى
دفن الناس



وأمسكت المحراث مثل جدي
ورنّ في الثلم
شيء أصم في الأفق المقفر
انه أشبه بعظم رجل
أويد
- وهي حادثة معروفة

في ناحيتنا -

وخيل لي أنها قطعة من مسن

صحت :

- هيه ، أيها الجد - قأنزل قلبقه -

لماذا توقفت عن البذار

هل هذا نوع من البذار

قال :

الذرة الصفراء تنتظر يا بني

<http://Archivebeta.Sakhrnt.com>

أما هذا

فلا يقوى على الانتظار هنا

ثم جلس وراح يمزجه بالتراب

ولقد اختلط عليّ الأمر

حين حدثت !

فهل استحال الى تراب بني اللون

أم استحالت الأرض

الى جسد ا

ومن ثم أردف :

- الأرض والجسد

هما يا بني

الشيء ذاته

الذي شبهته بالمسن

انه صدى للوسيان روماني

ARCHIVE هلك في أرضنا -

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

□ □ □

البرسيم البارحة

وغدا الذرة الصفراء

هكذا الحال

ولكنه صدى :

- هيه - أيها الناس

لا تحلموا ببيت غريب

ولا تمدوا اليه يدًا
لقد ولد ثوراي في الحظير
ولكن لهما قرون من الحب

كدسة عشب

أكمل أبي تكديس كدسة
من برسيم السنة المنصرمة
كان العشب - الساعات
قد نما حول مهياوي الذئباب
في الحقول - الأيام ،
وجف مع الصمت في الخضرة
وبعد تكديس كل طبقة
كنت أغمر بطفولة ذهبية ،
كان الربيع الوليد عطرًا حتى الايام ،
وكل ورقة هناك تهمني كصوت هزار

حينذاك ، رقصت فراتشات الألوان
أجمل رقصاتها - وكان ذلك رائعاً
ولكنني ما استطعت أن أميز
أيها كان الخشخاش
وأيها كان رجع البابونج المبكر
الذي يوقظني أحياناً من النوم
لا بالصياح
بل يقهر الظلام بالاريج •
قلت لأبي :
كم هي جميلة منطقتنا !
وكان يحفظ الأوراق
لتعيش بها الدواب
ثم يستعيد في ذاكرته ذاهلاً
منظر الثلج يلمع في الخارج دون رائحة
فوق العبق الأكثر حياة
لأعشاب القرى المقدسة

ذكرى

لم يكمل المدرسة الثانوية معنا !

لم يدرس تاريخ أسينا

ولم يحفظ اطلاقاً

أي أغنية ملكية

لقد شفق

لأنه

ARCHIVE

حمل النداءات

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تحت ثيابه الرثة الباهتة

بدلاً من كتاب الحساب !

وكان الصف متزناً

فأسلمه

كانت رهيبة

ساعته الأخيرة

تأرجحت ساقاه

مثل اثنين دهشين

□ □ □

لقد مات

دون أن يكمل الصف السابع

أما المتزنون فقد أكملوا

وعاشوا !



أعجن العجين

<http://Archivebeta.Sakib.com>

أيها الخباز !

واضرم النار في الفرن

فها هو الصباح يتوهج

ويحترق الليل

بين شعله •

لقد حان ميعادك !

ضع كل شيء

ينطلق درب القمر

عبر العالم مثل أمل .

□ □ □

أجيء كل ربيع

الى شاطئ البحر

وسيان ذلك لدى الموج

فمن أنا ؟
ARCHIVE

<http://Archivebeta> ومع ذلك يخفق قلبي

كما النسيم

في شراع زورقي الأبيض .

لا أحد هنا .

بعيد عن الأقارب والاعداء !

وأودّ أن أصبح بقوة

وأن أركض طويلاً

وأن تأخذني الرياح القوية
في أحضانها •

وأن تغسلني بالرشاش الناعم •

أواه ، هبوني ، على الأقل ، جرعة
من كأس سكينه البحر



أمام هذا المدي الرحب

غير المطروق

<http://Archiveeta.Sakhyat.com>

أمام هذه الزرقه المترجحة

جميل أن أتذكر

أن لي رأسي الخاص ••

الصنوبرات الخضراء

الى دانتشة

وفهمت ••

كان ينبغي أن أكتشف ذاتي

قبل أن ألتقي بك ا
فالصباح الذي يطلع على قلبي
قادم من ضوء عينيك •

ولكنك لا ترينني
كما أراك

ثمة بيننا
كيلو مترات عديدة
ينبغي أن تجتازها
لتتصافح يدانا •

أنتظرين تلك اللحظة ؟
أنا أنتظرها ا

سيحدث ذلك ذات صباح
حين تخز صنوبرات بيلميكن بأبرها
قطرات الندى

يا صباحي البعيد ا

انتظرت مرارا فتاتي

التي لها نظراتك

وفي كل مرة

كانت تأتي غيرها ا

لقد رددت مرارا

انني احب

دون ان أتلقى الجواب الشافي ا

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولقد أقسمت مرارا

دون جدوى ا

لو كنت رساما

لأخذت الألوان

ورسمت لوحة لقائنا :

بيليمكن • صنوبرات خضير

قطرات ندى على الأعالي

وعاشقان

يتناجيان

واليد باليد

الخورة التي قرب الطريق

الحب فرح !

الحب ضمك !

الحب صمت !

تحت النجوم !

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Safranit.com>

انا لا أتذكر أين

ومتي

رايتك

كل ما أتذكره

هو أن عينيكَ

كانتا زرقاوين

أتذكر فقط

كيف في تلك اللحظة
الخاطفة

توهجت كالبرق

فوق العالم

ابتسامتك

التي انتظرتها طويلا

ومزقت

غيوم وحدتي



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

السماوات فوقنا

والرصيف تحتنا

والقمر

الذي يلمع

وابتسامتك

وصوتي

كانت جميعا

• تدور •

وكان شجرة الحور

التي قرب الطريق

تهمس لك :

- افرحي !

سيبقى حبك خالدا

طوال قرون

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سوى مرة واحدة

صورة شخصية

حين ذهب جدي

لم يستطع توديع احد

وكان أحفاده - حبات العنب -

يتدحرجون حوله الما •

وكان فمي منقبضاً عند التابوت
فقد كنت ، حينئذ ، حصرماً حقاً •

الهواء يهب من البلقان
يهمس له السهل شيئاً
ولكن جدّي ممدد دون حراك
في غيمة لحيته •

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان فلاحاً
حراث حقل أيامه
وكان حمامة
توقفت كي تهدل
وكان ثمرة
سقطت من شجرة
ذلك الضوء الكلامي ،
التي ربط تحتها خفية بالخيط

وروحه بالياف النبات
وتدلت عساليح آماله الربيعية
قرب صليب من أطراف الاغصان •
تلتمع فوق صدره
أوسمة عديدة

من باباي ليليو بوغاز
وهي تقبع في وكن فولاذي ،
في خوذته الحربية ،

لقد سمعت ديك شبابه

البارودي المزهو يصيح
وقد حملته الجياد حول القرية
وكانها مقرونة الى محراث •

سنونات

أخي ميكولا سينكافيسكي
يا شاعر ضفة الدنيبر

أنت تحمل القلب نفسه
الذي أعدّوه لي
تحت قميدات الحياة الريفية

أقبلت السنونوات من جديد
وهي تحمي قشات الأيام الخوالي
ومن خلال قشبرة العرائس
يسيل ضحك حقول الذرة الديباجي
التي يؤرجحها صخب ما تحت التجوم •
المنبجس مع الغبار
الذي تثيره أعقاب بنات القرى الحافيات
اللواتي قبلتهن
وكنّ يغنين مع القمر

وهل ينبغي أن أذكرك بالاعنام
التي تبدو لي كلّ ربيع

مثل حملان

تقبع تحت أثوابها الصوفية البيض

وسط زريبة سماء العام الماضي

مطار

من براتيرا ومن بيكاديلي ؟

سواك يرى باريس في الحلم

أما أنت يا قلب

فتطير من جديد

بمشاعر الود

نحو باكو

ثلوج بيضاء تحت سماء الظهيرة

جبال البروس ثم مارداكيان

حيث سأعيش عشرين يوماً

في سكينه وكأنني « خان »

وسط دائرة من شموع السرو
وفي يدي كأس شاي •
وسأصبح زعيم قافلة
من حرارة المشاعر الصادقة

فليذهب كلّ حيث يشاء !

فلن أحسد أحداً على شيء

ولكن هبوني مسألة

القفاز التي تطاول السماء! <http://>

تنهدوا هناك قريباً من الله

في القصور أمام جياذ برونزية

أما أنا فيكفيني

أن أستطيع محادثة شاغاني

وأن أذهب مع عاطف الى ساحل البحر

وأن أسمع قصيدة من سيافوش

عن هذه المنطقة المشمسة
التي لست
غريباً عنها بتاتاً

صلاة جناز

هكذا
فلنصمت دقيقة
من أجل انسان
انتقل الى جهة المصير الأخرى
وصار وحيداً - دوننا -
وهو جدير
بعرفان الجميع
دقيقة صمت
بعد ذلك الصخب الذي لا حاجة اليه
الذي مزق أذنيه حياً •

كان انساناً عادياً جداً
وكان بإمكان أي انسان آخر
أن يستلقي في مكانه
ومع أن ذلك
سيتاح لنا

ولكن في مرة أخرى

فلنصمت اليوم

أمام ذكراه

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

التي تسبح

مثل غيمة فوق رؤوسنا ...

اصمتي أنتِ ، يا أول من حكّت له

حكايات ساذجة

حول أمراء وأميرات

فأمن بساذجة

انه سيعيش مثلهم في القصور

واصمت أنتِ
يا معلمه في الصف الاول
من معرفته
أكان لولاك
سيذعن



واصمت أنتِ وانتِ ،
لا أريد أن أذكر أسماءكم
يا من علمتموه الاخلاق
وكنتم محرومين من شرف كهذا

دقيقة صمت
هي الآن كافية تماماً

لحياته كلها
التي انقضت
في صمت
وخوف

اثنان



يتساقط الثلج ،

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

كان احدهم
قد نتف طيور التم البرية

وراح ينثر الآن بطيش
ريشها الموبر

اكان ثمرة ربيع ؟

ماذا حدث للصيف ؟

هل وجدت اقحوانات الخريف ؟

ام كان ذلك حلماً

حكيته لي

عند ضفتي نهر ايسكر ؟

وماذا حدث بعد ذلك ؟

استيقظت على الفور ا

فما هذه النافذة

التي تجمدت أزهاراً وهمية ؟

وما هذا البياض

<http://Archivebeta.Sakr.it.com>

الذي يغمر كل شيء

بسكون ؟

أبيض ا أبيض ا أبيض ا

أخاف هذا اللون .

لا يجوز ...

لا خطر في أن ترى

للحظة

كيف تفقد الالوان ذواتها ؟

هذا وهم •

المادة ببساطة

تبدل أثوابها •

ونحن سنعاود الجلوس

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

على ضفتي ايسكر
وساقص عليك حلمي

الذي يدعى :

الربيع ، الصيف ، الخريف ...

وسيكون كل شيء كما كان !

وحدنا سنكون اكبر سناً

بفصل

بقرن

بأبد •

بيرسي بوليس

أثار مطر ، علائم من رياح • أعمدة رخامية تحمل رؤوساً على كواهلها ،
أيادٍ ورماح ، مدينة هدمها الاسكندر المكدوني • لأعرف لماذا سمّي ،
زمنًا ، بالعظيم ، ولا أعرف من سماه • والتاريخ في غموضه ، كان له
حينذاك رؤوس سباع وأجنحة طيور • وسحر هذه الكلمة الصغيرة
« المجد » يقف عبر الزمن جنود من حجر لا فائدة منهم لأحد • وتصبح
اللحظة وجيزة لكل شيء • هكذا كما رأيتها في العروش الخاوية :

الملك كير ، الملك داريوس ، كسيركس والخ • حتى أعظمهم
جميعاً •
الملك غبار ،
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

✽ ✽ ✽

أشعار بولونيسه مخنارة

ترجمة: هاتف البخنايلي

للشاعر: ستانيسلاف غروخوفيك

ولد غروخوفيك في (لشن) في مقاطعة — بولونيا الكبرى في عام ١٩٢٤. درس الادب في جامعتي — بوزنان ، وغروتسواف — وفي عام ١٩٥٥ اقام في العاصمة وارسو . عمل في تحرير أشهر المجلات الادبية البولونية مثل « شعر » « الثقافة الجديدة » « ثقافة » وفي « الشور الادبي » وغيرها . نال جوائز عديدة في مسابقات مختلفة، كما ونال جائزة وزارة الثقافة والفنون من الدرجة الثانية لعام ١٩٧٢ على كل أعماله الابداعية .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وغروخوفيك شاعر، ناثر وكاتب مسرحي .

ترجمت العديد من أعماله الى لغات عديدة منها الانكليزية، الفرنسية، الالمانية، الدانماركية وبعض اللغات السلافية .

بعد معاناة شديدة مذهلة من داء السرطان، وفتره ليست قصيرة قضاها في المستشفيات (اضطره المرض للهروب منها عدة مرات) . توفي غروخوفيك في يوم ٢ ايلول عام ١٩٧٦ .

كتب الكثير من القصائد تحت وطأة المرض، خاصة في السنوات الاخيرة من عمره والتي طغت فيها عليه أجواء مأساوية وكأبة بليغة. انه شاعر كبير غير محظوظ. لقصائده وقع الحصى في اناء فارغ، او الحرير في الريش واحيانا كالقنابل في مدينة مزدحمة بالسكان . كان موته على ما اذكر مثار حزن وقجعة في الوسط الادبي والثقافي الذي كان يعده واحداً من الكتاب والشعراء المجددين في بولونيا ما بعد الحرب .

ومن اهم أعماله الشعرية والنثرية والمسرحية :

نشيد القروسية — شعر — ١٩٥٦ ، التعري للنوم — شعر — ١٩٥٩ ، الاعناب أو غناب الثعلب

✽ ترجمة : هاتف الجناحي ✽

شعر - ١٩٦٣، ما كان صيف - شعر - ١٩٦٩، الليندي - شعر - ١٩٧٤، ترسيموس - رواية
- ١٩٦٣، البنادق - رواية - ١٩٦٥، مختارات من شعره ومسرحياته ١٩٧٣، الفتيان - مسرحية
- ١٩٦٤، الملك الرابع - مسرحية - ١٩٦٣ .

افتراق

في مكان ما ، ثمة منتصف الليل الذي لا أراه ،

منتصف ليل العالم ،

ومنتصف ليل النهار

الوقت والفضاء ممدودان الى نقطة واحدة ،

النجمة التي لم يولد تحتها

الأموات

رائحة منتصف الليل في أذان الموتى

في أنوف الكلاب السائبة ،

وعلى سطوح الثلوج الا محدودة ،

في أوسمة الاطفال الفخارية

الاطفال الذين صمتوا والى الأبد

كان طعم منتصف الليل ،

في تلك اليد التي لمستها ، مثل حديد في الزمهرير
ومنذ ذلك الوقت أحمل نصف لسان
ومنذ ذلك الوقت أثرثر
فقط .

عن ديوان « التمري للنوم » ١٩٥٩

التمري للنوم

معاً نذهب ،
ARCHIVE
http://Archivebeta.com
في هذا الداخل الكبير

هي في فستان من الزفت ،
وأنا في فستان لازوردي
هي بصلعتها المخضرة قليلاً ،
تقول :
هنا سيكون المسمار الأول ،
وهنا على القيثارة ، ستعلق يدك
وهذه العصفورة

هل فيهما ستكون ؟

أنا أسأل

لكنها صمءاء ، صمءاء في كلا النجمين السوداوين

وهنا ،

سيكون المسمار الثاني

هنا ستعلق

حجاب الرئة الفضّي

وهذه الوردة

هل فيهما ستكون ؟

وهي عمياء ، في الأذنين الحادّتين

وهنا ،

تقول :

سيكون مسمار ، على الرأس ،

عاقه بخفة

كمنقار في سقف الأرض ،

أنا لا أسأل ،

أقف ، هكذا أبيض بهالة ،

مثل عمود فوق رقبة سلكية •

عن ديوان « التمري للنوم » ١٩٥٩

الطاهرون

أفضل القبح
ARCHIVE
فهو أقرب من نبض الكلمات ،
<http://ArchiveBeirut.com/>

حينما ندخلها ونعذبها

فهو الذي يشكل أغنى الاشكال

يحيي الجدران الدفينة

وفي برودة التماثيل

يكسوها بسمم الفئران

لانه في العالم أناس نظيفون

عندما يجيئون

لن ينبج كلب

رغم أنهم ليسوا

قديسين ولا هادئين

عن ديوان « التعري للنوم » ١٩٥٩

في الظلمة

- قل للطير ...

- حسناً • سأقول :

كانت الطلقة في النهاية مذهبة ،

صاغها المذهب للقضايا الفادرة ،

جاء بها من السماء ،

وبعذوبة سيموت •

- قل للسمة ...

- حسناً • سأقول

ذي المطرقة المرفعة ذات الغنى الداخلي

جميل • ما سيدلك الوجه بها

لان الوجه أملس يشبه السمكة •

- قل للحصان •••

حسناً • سأقول

برهافة توثف القوائم بالحري ،

بعدها ، مداعبة بالسكين على الاردا ف الصقيلة ••

الحصان ، حتى الميت ،

سيشكر مثل تلك المداعبة •

ARCHIVE

- قل للقصاب •••

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- حسناً • سأقول

ثمة وحيد القرن بأجفان ثقيلة ،

بيضاء تتجول في حدائق كرزية ،

أعرافها تبكي عند الانهر الخاملة •

عن ديوان « الاعناب » ١٩٦٣

الغيمة

غيمة حَكَتْ 'خلال المِرج ،
غيمة ملساء ركضت عبر الروابي ،
تحسسوا المنظر - ابيضاض وخضرة المِرج ،
بنقاء السماء الصباحية العظيم ،
الطاحونة لمستها بأجنحتها ،
والغيمة على الاجنحة الاربعة سوت خطوات أربع
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
بعدها كالجع لعقت الارياش ،
وعلى هيئة عين ملونة أبحرت .
تحت الكستناء غفى بيلون الريفيّ وهو مقشعر ،
القبة على العيون ، القنينة بنبيذها الرديء ،
ولامس الغيمة ، تدثّر بها ،
الغيمة صارت لحافاً من الريش دافئاً ،
بعدها ، قيّدها بيلون بالحبال ،

وعلى ظهر مهرة حملها في رحلة بعيدة وراء الغابات والجبال
السبع ،

أمام حدود الحبيبة توقف .

ألقي الغيمة في زاوية ، ومثل ملاك

غنى للحلوة أعذب الكلمات ...

الازهار أخفت نفسها في الاصيل واستحياء

الكلب حدج السيدة بنظرة من تحت بوزه

ثم غادر بيلون تاركاً الغيمة .

حلّ المساء ، عاد الزوج الى البيت

المناضد الكئيبة بصعوبة صمتت ،

في البيت الحزين المروع .

تقدمت الغيمة الى البوابة بصمت ،

باحثة عن ثقب المفتاح ،

وهاهو ، يتسع الخيط الابيض الرقيق دون توقف .

صرخ الناس ، الاجراس دقت من الرهبة ،

الخيول أخذت تقطع الحبال

وفي الزاوية ، تحت المصباح مختبئاً كان بيلونٌ
- والسكين في يده - بضحكة خافتة وأسنان بيضاء .
عن ديوان « نشيد الغروسية » ١٩٥٦

الضيف

التاريخ ؟

هل ندخل فيه مثل الصالون ؟
(هنا القيصير يجلس . هناك على البان القيثاري ،
امراته الخجلة ذات الضفيرة الخلفية تروس الآلة (٠٠٠)
اذن هكذا ، كما في الصالون فلتشتعل الشمموع
بلا حدود

لحيّ في الاعالي ، أو ميت في الوادي ،
أو لهذا الذي يموت بكبرياء ،
لأنهم يقطّعونه بدلا من انقاذه .
لا تدري . بل لا تريد أن تدبر الوجه ،
تتقدم خطوة - ترجع تذهب كأنما للامكان

كالتائه وسط المقابر الغريبة •

يتكشف الومض ،

الاودية تتمغنط

دزينة شموع تدخن فوق مكانك ،

متى تغلق احدهما المرمر المكفهر •

من ديوان « الاعناب » ١٩٦٢



زرت مدينة <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لا شيء فيها سوى القنابل

في المدينة ، ما كان الا القنابل •

عندما يتم تذكر القنابل ،

الكلاب ترفع رؤوسها ،

واذان كبار السن تميل من الثقل ،

القنابل أتت فجأة — مثل المطر •

سميكة ذي الليلة ،

شفاف القيظ

في البساتين ، تفتح الكرز الابيض ،
الطيور خرجت في السماء مثل قطيع من الملائكة
الكلّ خرجوا ، لا من الطوابق ،
ببساطة على جسور من الستائر الشفافة ،
على الريح ببساطة ، في الحدود العائلية ،
في كواكب الفضة ،
وما نفذ من تحت التنائير الشفيفة ،
لان القنابل الجيدة أهاجت الطيور ،
الحديقة كانت محاطة كالدائرة ،
الكل ركبوا ، في البجعات السابحة ،
على ظهور الجمال التي تفجر الدخان
من مناخيرها ،
هنا ،
يصمت الشيوخ ،
الكلاب تمد رؤوسها

لكن لا بد من الاعتراف

عدد من السيدات الهيفوات ،

ركضن عاريات في المروج المسودة ،

وهناك ،

سقطن • ربما مع الفجريين •

أيتها الليلة القنبلية ،

ليلة القديس يان ،

وردكِ السرخسيّ وقف على ساقٍ منهكة ،

<http://Archivebeta.Sakib.it.com>

وله قدح من عين راحلة

ذات أوعية مدمّاة

مثل وسام مطرز •

بعد اليوم ،

لن ينسى الشيوخ ، ولا الكلاب

من اقتلع الوردة ،

ووسط الشرار حملها

من المدينة التي صارت حفرة مشققة

مثل فم مشقق ، بأعجوبة أزلية .

من ديوان « الاعتاب » ١٩٦٣

سَوْرَةُ الحُمَى

ثمة ريح ، توسع حتى منخري الرجل ،

توجد هكذا ريح .

ثمة صقيع ، يسوي الرجل النحيل مرمرًا ،

يوجد هكذا صقيع .

لست لي زعترا ، ولا وردة

ولا حتى « لحظة حسية في الشهر » -

لكنما ريح مظلمة ،

لكنما صقيع أبيض .

ثمة مطر ، يغير حتى شفاه النساء ،

يوجد هكذا مطر .

ثمة ومض ، يكشف حتى أفخاذ النساء ،

يوجد هكذا ومض •

لا تبحتي في اكتافاً قوية ،

فلست في فكري « يا قوته الثقة » ،

لكنما مطر مالح ،

لكنما ومض ذهبي •

ثمة قيظ ، يحرق حتى أجساد المحبين ،

يوجد هكذا قيظ •

ثمة موت ، يوسع حتى أعين المحبين ،

يوجد هكذا موت •

هي ذي ، على فرجة العرس المعشوشبة

من عظام العاج

ترتفع قمة

نظيفة مثل الضوء

ملساء مثل الموت •

عن ديوان « ما كان صيف » ١٩٦٩

تقبيل – صورة البلاد

ضعت في غابة شعرك -

اكتشفت الاعشاب والبكاء •

عرّجت أسفل ،

على ثلوج الجبهة الشتوية البيضاء ،

حيث البكاء يتلاشى ،

فكان ظلّ الشمعدان •

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بعدها ،

زرت تحفّيات وجهك ،

كل مرة ، أكثر قرباً

كل مرة ، أكثر قرباً

من قرية فمك المجيد النائمة •

كل ما يحدث فيها ،

لمرة واحدة يحدث •

وسرت في القرية ،

وكان الصحو تحت سماء سمائك •
حيث ، في زاوية هادئة ،
مات الخجل الريفى الشاب برائحة الزعر •
فجأة عدتْ – ووقفت عند الدكة
أنظرُ ، كيف اطار صورة البلاد يتغير ،

كيف تشرق



البجعة الاولى

ARCHIVE
في هدائق الليلك ،

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

• وتنحنى الاهدا ب تحت نداوة الغبش •

من ديوان « ما كان صيف » ١٩٦٩



البيت الذي مات مرتين!

ترجمة: د. عبد الرزاق جعفر

بيير غامارا

بيير غامارا

كاتب تقدمي فرنسي برز اسمه بعد الحرب العالمية الثانية .

اشتهر بكتابة الرواية الطويلة والقصة القصيرة والشعر .

من كتبه :

- أولاد الخبز الأسود (رواية)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- بيت النار (رواية نالت جائزة الرواية العالمية المعروفة باسم شارل فيون)

- دبكة منتصف الليل (رواية)

- المرأة والنهر (رواية)

- أغنية قلعة آراس (شعر)

- روزالي بروس (رواية)

- أيدي الرجال (قصص)

كما كتب للأطفال : « البيت والحمامة » و « الكلمات السعيدة » . وغير ذلك .

د. عبد الرزاق جعفر

لست أعرف دائما ماذا تقول الرياح . لكنها سردت عليّ حكاية ذات مساء ، حين كنت مارا في هذا الشارع . وكان ذلك في شهر أيلول ، وهو الشهر الذي يتصف بعذوبة الهواء ، تنبعث منه رائحة كرائحة الشمار الناضجة والأوراق الذهبية ، كانت النسومات تحمل عير الكوخ الثقيل والأجاص الذي لوّحته الشمس ، وأشجار العنب البعيدة ، في الريف ، حيث ترقد العناقيد الزرق بين الأوراق التي شرعت تحمرّ منذ عهد قصير . كان ذلك الوقت وقت ثمار الأرض قبل سقوط الثلج . والنور أيضا .. كان أكثر نضجا وأشدّ حلاوة ، كأنه ذوب الشمار .



في هذا الشهر ينهض قاطنوا العنب ، في بلادي ، منذ الصباح الباكر ، حيث الضباب الكثيف يلفّ أشجار الجور والدردار والذلب ، ويكسبها لونا بديعا . ينتشر القاطفون في الكروم . ويقطفون النبيذ اللذيذ من الأرض . أما النساء والفتيات فينحنين بظهورهن القوية على الدوالي ، وترفع أيديهن الرشيقة الظلمة الأوراق الندية ، ثم تقطع السوق ، وتتناول العناقيد . ويذهب الرجال الى العربات وهم ينقلون القناطير المقلطرة من العنب اللماع ، وأخيلتهم تراقص من مكان الى مكان في ذلك السهل الفسيح ، وتشمّ رائحة الخمرة المثلجة في الهواء ... هذا هو أول دم تنفثه شجرة العنب ... انه المتعة وثمن الجهد ... !

قالت لي الريح كل هذا ، في بادىء الأمر ، ولقد حدثتني عن عمل الناس أيضا . فمادت بي الذاكرة الى كل الأعمال التي تنبئ عن الفصول ، وعن

أوقات الحصاد ، عند اشتداد القيظ ، وعن الدراسات الضخمة ، حيث تنقلب الأيام أعيادا ، عندما تشخر الماكينات بسيورها ومذارها ، وعندما تندفق شلالات الحنطة نحو الزكائب . حينذاك كان ينحني الرجال نحوها ، يأخذونها بين أصابعهم الغليظة ، ويفركونها ، ويداعبونها ، ويروزونها ، ثم يتركونها تهرب ببطء من أصابعهم آسفين ، فتتدحرج حبة أخيرة صهباء سميكة بين الإبهام والسبابة . انهم يفركونها حتى يكادوا يسحقونها ، لكي يروا طحينها ، ويتعرفوا الى الخبز الذي سوف يخبز منها ... !

هذا ما كان في صوت الرياح . وثمة أشياء أخرى كثيرة ضاعت فوق المدينة عند الاصيل . كان ذلك في شارع تحفّ به الحدائق والبيوت الهادئة . يوجد مثل هذا الشارع في مدن أخرى عديدة ، وإن كانت البيوت جميعاً لا تملك الوجه ذاته . فمنها الصغير ، ومنها الكبير . منها ما يغيب تحت الأوراق وخلف أغصان الزيزفون . ومنها ما يجثو تحت سقوف الحجر الأسود الضخمة ، أو تحت سقوف القرميد البراق . لبعضها أوكار حمام وشرفات من الخشب . كما أن لبعضها الآخر جدراناً من الحجارة البيضاء أو من القرميد الوردي الكبير . وبني غيرها من صخور (الشيست) التي جلبت من الجبال . عن هذا كانت تحدث إليّ الرياح : عن بيوت الناس الموحشية ... عن الحصى ، والغضار ، وسعف النخل الذي يشقّ عنان السماء ، في الوقت الذي يأوي فيه الصغار الى فراشهم . وتلك هي الساعة التي ترى فيها رؤية جيدة . إنها تتطلع نحو السماء مستقرة على جدرانها ... وتضيء

نوافذها متألثة كما تتألأ العيون ، ثم تنطفىء وقت النوم . حينذاك تهدأ البيوت وتنصب في وجه الريح الشمالية والأمطار والثلوج المتطفلة . كانت امرأة عجوز تجلس على الرصيف مستندة الى أحد الجدران . فقالت لي الريح :

— « هل ترى هذه المرأة ؟ هل تراها ؟ انها تفكر في بيتها . هنالك نساء كثيرات يفكرن في بيوتهن . لكن هذه ... »

هذه ... لقد كانت امرأة بيضاء الشعر . عقصت شعرها بشط ثقيل خلف رأسها . الا أن بضعة خيوط فضية كانت تتطاير أمام وجهها المتجدد . كنت أرى جفونها تنخفض وترتفع كأن النعاس كان يهاجمها ، أو كأنها كانت تخشى فرار بعض الصور من رأسها . فلم يقل غابر لنفسه :

— إي ... ! إنه شارع مثل غيره من شوارع المدينة . عجوز تستريح منتظرة هبوط المساء الخريفي على المدينة ، ومتمتعة بعذوبة الهواء . لا شيء غير هذا . سوف يخيم الليل عما قريب . وسوف ترجع العجوز الى منزلها الكائن على بعد خطوات من شجرة الزيزفون العتيق ... ! وسوف يصبح الشارع ساكنا ... ثم سوف ينتشر الظلام على طول الرصيف « ولا جديد يمكن أن يضاف الى مثل هذا الكلام .

كان زوج هذه المرأة بناءً . وكانا ، في شبابهما ، يسكنان في قرية واحدة . ليس هنا . ولكن بعيداً . في شمال بلادي ، على مقربة من نهر هادي ، ينشر الخضرة حول الحدائق على امتداد ألف ذراع . لم يكونا غنيين اذا فهنا

بالغنى كثرة المال • بل كانا غنيين في أيديهما وجبهما • تمكنا من العثور على
مأوى يضمهما بأجرة زهيدة • إلا أنه كان مأوى مؤقتاً • كان الشاب يقول :

— « صبراً ... سوف يكون لي بيتي ... انني بناءً ! »
وهكذا كان • فقد اشترى قطعة أرض ، على ضفة النهر ، وشرع يبني
بيتاً له ، في أوقات فراغه •

ومرت الشهور • وبدأ البيت يتخذ شكلاً • حفرت الأسس • وصُفِّت
القرميد والحجر : الواحدة فوق الأخرى • والبناء ماضٍ في عمله • كان يحدث
نفسه :

— « انني أعمل في النهار • وأبيع • سوف أشتري كيت وكيت »
وبرز الهيكل الى الوجود • وغطى القرميد البارد السقف ... وكانت
المرأة تفكر بالقرب منه :

— « حين يكون لنا بيت ... سوف يكون في وسع الولد أن يأتي
حينذاك ... نعم ... وسوف يرى أننا وفرنا له سكناً .. »

وجاء وقت الملائم ، ودق المزالج ، وتركيب الباب ، والتجسيص • وتم
بناء البيت • وشعر الزوجان « حين دخلاه للمرة الاولى ، كأن حياتهما بدأت من
جديد • إنهما في غاية السعادة • كان البناء يفرك يديه الغليظتين ويقول لنفسه :

— « إنني أنا ... أنا وحدي ... بنيت ... ! كل قريدة فيه
تعرفني ... وأنا أدرك الجهد الذي بذلته فيه ... ! »

ومرت السنون بين أمطار وشمس • كان هواء البحر يدفع الضباب
الكثيف نحو البلاد • كما كانت الأمطار تنثر الخضرة في البساتين • وكان
البيت الصغير الرابض في ركنه من الأرض قد بدأ يقوم بمهنته ، فولد فيه
ولد ... وكان هذا الولد بنتا • فأخذت هذه البنت تلعب في الحديقة ،
على طول الجدار الذي كان أبوها قد بناه • وحين كان الأب يعود من عمله
كانت صرخات الصغيرة تستقبله من بعيد • أما هو فقد كان يتأمل دائماً ذلك
القرميد الأحمر ، من خلف الأشجار ، ويفكر :

— « بيتي ... ! »

لقد جعله سميكا وقويا كي يعيش مدة طويلة ... وكى يلعب فيه ...
فيما بعد ... أولاد عديدون كما تلعب ابنته الآن •
وحيث كان البناء يفكر في أبناء الغد كان يقل شاريه ويبتسم • لقد كان
يسمع أصواتهم وهم يرددون :

— « هل تعرفون ؟ هذا البيت سيّده جدنا البناء ... وحده ... في
أوقات فراغه ... ! » •



ثم ... هبت عاصفة ... !

لكنها لم تكن عاصفة برق ورعد ، بل عاصفة من نوع آخر ... عاصفة

لا تعرف الفصول الأربعة • شملت البلاد كلها • وكنت ريحها المدن والقرى
جيباً... !

انقطع البناء عن العمل في مهنته • وشرع يصنع بيوتا ، من نوع آخر
حافراً الخنادق في الأرض • أما زوجته فقد سارت مع أمها وصغيرتها وسكان
المدينة كلهم ، في الطريق ... كانوا يدفعون أمامهم العربات الصغيرة ،
ويسرون وراء العربات الكبيرة ، بينما كانت العاصفة تزار في السماء ... !
وكان البناء يتساءل :

— أين هم الآن ؟ ونحو أي مدينة أرسلوا ؟ •

وكانت المرأة ، من جانبها ، تفكر بالرجل الغائب الذي لم يعد يعجن وحل
البيوت ، لأنه شرع يعجن الطين الأبيض أو الأصفر من أجل الحصاد الميت ...
ذهبت المرأة والطفلة والأم نحو الجنوب • وحلن في مدينة فيه ...
وعشن عيشة كفاف • وظلت العاصفة تائرة •

وفي ذات يوم وصل البناء الى طرف غابة ممتدة بعد أن قطع مسافة طويلة
في الليل • لم يكن الانسان قادرا على تمييز شيء في ضباب الصباح الكثيف •
كان كل ما يتصوره أمامه أرضا واسعة فسيحة • كان السهل الذي قصفته
القنابل يمتد حتى هضاب الغرب • ولم تكن ترى فيه شجرة واحدة على قيد
الحياة كأنه قد مشط بشط ذي أسنان غليظة ، وكان ثمة بريق يعكس جريان
نهر بطيء • لقد كان النهار في مطلع • مطلع النهار • والسكون يخيم على
المنطقة •

وكان دوي الرشاشات ثقيلًا مرتجفا في الأفق • وكانت الريح تنقل ، من بعيد ، صوت إطلاق النار من المدفعية ، لكن ذلك السهل كان هادئًا مع ذلك • وبغثة بدأت عملية إطلاق النار بصورة واسعة • وأصبح من الواجب التقدم تحت ستار من نيران المدفعية •

في تلك اللحظة التفت الرقيب نحو البناء • وقال له :

— « ما بك أيها البناء ؟ »

مرّ البناء بيديه على عينيه • ودار على عقبه وكأنه قد شرب ليترًا من الخسرة • وكانت حقيقته تهتز متناقلة على ظهره :

— « ما بك أيها البناء ؟ »

تابعوا تقدمهم • وجدوا خنادق قديمة : اذن فالمكان خطر • والعدو أمامهم ، في هذه اللحظة مدّ البناء ذراعه نحو نقطة قريبة من النهر • نقطة ليس فيها شجرة ، أو سياج ، أو ورق • ليس فيها أي شيء • لم يكن المرء ليرى فيها ، من خلف دخان المعركة ورعدها ، إلا أرضا حرثها الحديد والرصاص • لقد كان ذلك المكان محروثًا أكثر من غيره من الأماكن الأخرى ، وأشدّ إقصارًا ، وأعظم موتًا • لقد عرف البناء البيت الذي أشاده • رأى فيه شبح حلم ينتصب في الهواء المضطرب • استطاع أن يميز سطحه وجدرانه ••• في ذاكرته • ولكن — كما قلت — كان ذلك المكان أكثر إقصارًا وأعظم موتًا ••• !!

وفي ذلك اليوم نفسه انخرقت رصاصة قلب البناء • لعله لم يقو على تحمل ذلك العذاب • فلقد كان كالمخمور من شدة الحزن ••• !

والآن يجب أن أقطع السنوات ، السنوات التي قد تكون ذات أهمية ، لكنني لا أستطيع أن أذكر كل شيء جرى فيها . لم تشأ المرأة أبدا أن تعود الى المكان الذي فقدت فيه بيتها وشريك حياتها . فظلت تمارس بعض الأعمال الشاقة في البلد الذي آواها . وربت طفلتها . واعتنت بوالدتها .

وذهبت أمها بدورها ...

وسارت الفصول في فلكما من الثلج والأوراق وذكريات الليلك الآفل والليلك القادم . وأصبحت الطفلة امرأة ، شابة ، شابة حسنة الهيئة . لقد كان لها من أمها عذوبة النظرة والشفقتين ، ومن أبيها البناء ، شهيد الحرب ، شعرا أشقر وذقن يوحى بالإرادة القوية والجسم الصلب ، ها هي ذي تتزوج بدورها ، في البلد الذي كانت تقيم فيه . والوقت الذي تتزوج فيه الفتيات يمضي ويتكرر ، فتأخذ الحياة مسيرتها من جديد وتتصر .

كانت في غرفة الأم ، على طاولة الليل ، صورة صغيرة في اطار من القطيفة كامد اللون . وكان يرى فيها وجه نحيف تعلوه عمة ، وجه أصفر لونه ، لا يكاد يرى بوضوح ، على خلفية من اللون ذاته مما يرغم الانسان الى الميل نحو الصورة والتحديق فيها لكي يتبين ملامحها ويميزها . انه وجه الأب ، وجه الفقيد الذي كان يتراقص دائما في ذاكرة ابنته التي لم تحتفظ منه الا بهذه الصورة ، بهذا لوجه الذي لا يكاد يرى بوضوح ، إلا أنه حاضر دائما وعلى الرغم من كل شيء .

ربما كان ذلك هو السبب الذي دفعها الى الزواج من بناء . وربما تزوجت

البناء لتحفظ بذكرى الوالد الراحل ، لقد كان شاباً في مثل سنها يقبض على مهنته بكلتا يديه بصورة ممتازة .

ولقد تمّ ذلك الزواج عندما بدأت الحرب ... من جديد ، وقد تابعت تلك الحرب أيضا سيرها حتى شملت العالم جميعا ما زالت الفتاة تذكر أمها وهي ماضية الى الخياطة خلف نافذتها، وبائعو الصحف الذين كانوا يترأضون في الشوارع صائحين . وكان حبر الصحف يلعب . فصاحت الأم :

— « يا إلهي ... يا إلهي ... ماذا سيجري أيضاً ؟ »

ثم صدرت عنها حسرة عميقة . وانفجرت ، من جديد ، على صدراتها وقمصانها . كانتا تسكنان في مخرج المدينة تقريباً ، في الطابق الثالث من بيت قديم جداً . وصدرت عن الأم حسرة أخرى . ثم أضافت :

— « ولكن ... هنا ... في هذا البلد الجنوبي ... قد نكون في أمان . لن نخسر الكثير ... لانتقع الحرب هنا في العادة » .

ومضت الأيام . كان البناء يذهب باكراً ، في الصباح كل يوم ، ويعود في المساء . وكانت الأم تدور وتدور في المنزل ، وتبحث عن أحسن السبل لتوفير أي شيء . أما البنت فتحنى على ماكينة الخياطة . بدأ الهس منذ الصباح حين ذهب البناء الى عمله . ولقد طالما دارت في رأسهما هذه الفكرة : شراء قطعة أرض في الضواحي وإقامة بيت جديد عليها ... بيت خاص بهم . واشترت قطعة الارض في ذات يوم . وشرع البيت يرتفع . كانت الأم تريده مثل ذلك البيت ، سميك الجدران ، يقاوم الريح والمطر ، ذا سقف واسع

جميل من القرميد وجدران ضخمة من الآجر . وكانت تحدث نفسها :

— « مثل ذلك البيت ... »

وكانت تحاول أن تشرح لصهرها كيف بني ذلك البيت ، وأين كان المطبخ ، أو أين كانت الغرف ، وكم من النوافذ كانت تضيئه ... وأخيراً وجد البيت . لقد خرج من بين يدي هذا البناء الآخر . أما الأم ... فكان شريك أيامها الغابرة قد بعث من جديد ...

لكن ... هناك ... في شوارع المدينة ... كان بائعو الصحف يتراخضون ويصرخون في شتى الأنحاء ... عن أسبابنا وعن المدفع الذي كان ينفث النار باستمرار . وأجهزة المذيع تعلن عن معارك ، وتحدث عن متاعب جديدة . صدرت عن الأم حسرة . وقالت في أعماق نفسها :

— « هنا أيضاً . قد نكون في أمان . والولد الذي سوف يولد لن يعرف

ما عرفت . »

ذلك أن طفلاً كان يوشك أن يولد في هذا البيت الجديد .

لقد كان حياً جديداً . وكان أريج الفصول يأتي لمداعبته . وكانت شجيرات الليلك والأكاسيا ، في شهري مايس وحزيران ، تعطر أنفاس النسيم . وريح النهر تدفع عطر الأعشاب ، عطر الحقائق المجاورة جميعاً . وكان الثلج الأبيض والوردي الذي يغطي الأشجار المثمرة ، في وقت تفتحها ، يغلف الجدران أيضاً ... كان حياً تفوح منه رائحة الأعشاب والأرض الغنية القوية المحروثة .

لكن شائعة سرت في المدينة ذات يوم ، فاحتشد السكان في مفترق الطرق
يقرؤون الصحف وقد سيطرت على أبدانهم حمى مشبوبة . وجرت النسوة
نحو منازلهن بعيون مفعمة بالدموع . وتوقف الرجال عن العمل . وتركوا
أذرعهم تسقط الى جانبهم . عاد البناء الى بيته عند الأصيل تقريبا . وكان
النسيم مشبعا بعطر أيلول ، حيث تنضج الثمار ، وبأريج الخمرة المبردة . دفع
البناء باب بيته . وألقى قطرة على الام التي كانت منهكة في الخياطة ، وعلى
امراته التي كانت منحنية على ماكنتها . ووضع حقيته التي ابيضت من
الاسمنت . ثم قال :

— « هذه المرة ... وقعت الواقعة ! »

شحبنا . نظرت الأم نظرة طويلة من النافذة ، نحو تلك البقعة الخضراء
والزرقاء من السماء العذبة في أصيل يوم من أيام أيلول . وكانت الريح ، من
بعيد ، تكس الأوراق بهدوء على طول النهر ...



لقد كان يخيل اليهم أن عواء صفارات الانذار ينطلق من شجرة اليليك
الموجودة أمام الدار ، كما لو كانت تلك الشجرة هي التي تصرخ ، أو هي
التي تعوي . نهضت الأم راکضة نحو النافذة . لم تكن ترى شيئا . ولم يكن
في وسعها أن ترى شيئا . أما ابنتها فقد كانت واقفة أمام باب الغرفة التي
يرقد فيها صغيرها . لم تكن لتجرؤ على فتح الباب . هل سيستيقظ الصغير ؟
لكن عواء الصفارات كان يتلاحق ... وكان ذلك أول انذار .

حملت الأم نفسها الى المطبخ . وتناولت شمعانا كان موضوعا على أحد الرفوف . ثم عادت الى الغرفة التي كانت تشتغل فيها مع ابنتها . قالت البنت :
— « سوف يستيقظ ... »

وفهمت الأم من حركة شفيتها بماذا تفكر . ماذا بوسعها أن تفعل ؟ هل يمكن أن يصاب هذا الحي بسوء ؟ لقد كانت فيه معاملة ... على مقربة من البيت ولكن ... ! لقد حفرت ملاجئ ، في طرف الطريق ، في أرض كبيرة واسعة . وعليهما أن تذهبا اليها حيث الخطر أقل . لكن البنت قالت عدة مرات :
— « لن تتحرك من هنا . وليحدث ما يحدث ... »

الحقيقة أنهما لم تكونا تعتقدان أن الحي يمكن أن تمسه القنابل . وأطفىء النور . وانقطع عواء صفارات الإنذار فجأة . ثم اندلع أزيز في أعماق السماء . فقالت الأم :

— « هل تسمعين ؟ »

— « نعم ... لقد بدؤوا يطلقون النار على الطائرات ، ربما ... »

لكنها لم تكمل عبارتها ... لأنها كانت تتمنى ، في قرارة نفسها ، ذهاب الطائرات . ثم ... يحتمل أن تقع القنابل بعيداً عن المكان الذي يقيمون فيه ... !

استيقظ الصغير ، في تلك اللحظة ، وشرع في البكاء . لا ريب أن صفارات الإنذار هي التي اترعته من الراحة التي كان يرتع فيها . كما أن طلقات المدافع

المضادة بعثت الخوف في نفسه • نادى أمه • فجرت نحوه • وحملته بين ذراعيها •

اقتربت الانفجارات • وأصبحت فوق رؤوسهم تماماً • رفعت الجدة كمها نحو فيها وقالت :

— « ينبغي أن نذهب • فليس المكان أميناً هيا ... »

— « أصغي ... إنها هنا ... فوق البيت تماماً ... ! »

— « والى أين نذهب ؟ »

— « الى الملاجئ •• الأمكنة هناك أكثر أماناً •• لولم يكن الصغير معنا ...
... لكن الصغير ... ! »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتناولت زكية كدست فيها أوراقهم الشخصية وكل ما اقتصدوه • وأخذت البنت بدورها ثياباً للطفل ، وعلبة من الحليب ، والرسائل الأخيرة التي كان الأب قد بعثها لهم من ألمانيا • وشرعتا تركضان بين البيوت الصامتة ... بينما كانت زمجرة القنابل تتلاحق ...



قالت لي الريح : حين عادتا ... حين عادت هاتان المرأتان ... كانت الشابة تحمل صغيرها ، والعجوز تلهث من الإعياء ... لكنهما لم تجدا البيت ... ! لم يكن هناك بيت !! إذ أن قبلة قوَّضت ذلك المكان • لقد

مات بيتها وبيوت أخرى . كل ما كان هناك عبارة عن سقوف مثقوبة وجدران مبقورة ، وأنقاض من كل صنف ، يمكن أن يتعرف فيها المرء على بعض القطع التعيسة من أغراض بيته ، مصباح عتيق ، وقدر بدون غطاء ، واطار صورة ملقى بين أنقاض الخشب وكتل الاسمنت والحجارة ...

كان الناس حولها يصرخون وينادي بعضهم بعضاً . وثمة امرأة كانت على مقربة منها تجهش بصوت عالٍ . كذلك كانت حال سكان الحي جميعاً .

لم تنبس العجوز ببنت شفة . بيد أن شفيتها ابيضت ، وتقلصت ... تقلصت بشكل لم يعد في الامكان معه أن تنطلق الكلمات من بينهما . دارت عيناها في الجهات كلها باحثة عما لا يعرفه أحد ، كما لو أن البيت قد طار الى مكان بعيد . وشرع الطفل في البكاء كأن بكاءه شكوى قصيرة لكنها ملحّة لم يكن أحد ليعرف كيف يوقفها ، حين كان الأطفال يكون ، قبل هذه الحادثة ، كانت الأمهات يحاولن أن ينشدن لهم أغنية ، أو يقدمن لهم دبا من القطيفة أو (خشخاشة) مدندنة . أما في هذه المرة فلم يكن ثمة ما يمكن تقديمه لهم . لم يكن هناك إلا أن تأخذ الأم وليدها وتضمه بين ذراعيها . لهذا كان جميلاً ما فعلته أم الصغير عند سيرها نحو ملاذ منزل في ركن من أركان الطريق ، بينما كانت العجوز تقتني أثرها حاملة أكياساً وطعاماً ، وقد زمت شفيتها بشدة فكونت منها خطأ قاسياً .

قالت لي الريح : أصغ اليّ جيداً . أصغ اليّ . فلقد سردت عليك حكاية بيت مات مرتين . التهمته النيران مرتين ... مرتين في حياة امرأة . تهدم سقفه ،

واستحالت جدرانه تراباً تحت هدير القنابل • عد الى ذاكرتك وتصور تلك
الليالي التي كانت حمراء ... من حمرة الموت لا حمرة الشمس ...

ذهبت الوالدتان في الدروب وكان شبحاهما يسقطان في الظلمات كما
تسقط الحنطة عند الحصاد • لكن هذا الحصاد ليس من فعل الانسان ...

عاد الأب • وبدأ العمل في بيته بجهد ونشاط ورغبة وأخذ يضع القرميدة
فوق القرميدة من جديد • وخلط الاسمنت الرمادي بالرمل الاصفر النهري
وجعل من الخليط ملاطاً لحم به ما بين القرميد • لم يمت الأب في هذه المرة •
لقد ظل على قيد الحياة • وظلت العجوز تنظر اليه من خلف عينيها اللتين
أغضتتهما نصف اغماضة بسبب وجع جفونهما •

كان ثمة بناء أمام مسكنه ، يتأمله عند هبوط الليل الخريفي على المدينة
وهو يحمل أريج الشمار الناضجة ، والأوراق الذهبية ، وعير الخوخ الثقيل ،
والأجاص اللامع تحت الشمس والكروم المنتشرة في البراري •

وكان الصغير راقداً يصغي الى أحلامه التي استيقظت في مخيلته ، وأخذت
تترف ... ألوف العصافير البيض كانت تطير من جبينه ...

والعجوز تنظر ...

إنها تنظر الى الحروب البعيدة ... تنظر الى ابنها البناء والى جميع بنائي
العالم الذين يقفون حراساً أمام بيوتهم وعلى أحلامهم ... !



باتجاه «صولتك» على الجبهة اليسنى للطريق

ترجمة : نافع معاد

للأستاذ الهجري غوباش يانرش

١ -

لا أحب قراءة الصحف ، كما أن ليلتي أيضاً كانت مزعجة .

عرفت كثيراً من الناس ، التقيت بكثيرين جداً . الليل ثانية

أحبوني ، غادروني ، تلاقينا من جديد . الآن يريدون البقاء معي .

منذ عشرين عاماً وأنا مريض . كل شيء متشابه ، كل الأيام متماثلة .

لماذا حضروا ؟

أطل عبر النافذة .

أمامي لوحة من الذرة ، أسرح بنظري فوقها بعيداً .

أرى نفسي أيضاً وراء النافذة .

٢ -

كان يمكن أن أموت أيضاً مرات كثيرة ، غير أنني موجود مع
سيدة عجوز •

السيدة العجوز ، دائماً في الصباح ، تأتي الي إذا لم أذهب أنا الى
عندها •

كانت ليلتي مزعجة - تقول هي أيضاً •

أجلس الى جانبها كالأخرس •

تساقط الأمنيات - تعلن لي ، بعدئذ تأخذ في البكاء •

دائماً لا أجيّب •

ياي إنه لسيء جداً ألا يكون لي أحد - تتابع بهدوء أشد •

أخيراً تقف •

السكون من جديد •

٣ -

أبلغ سبعا وأربعين من العمر ، والأشياء التي بينها تطوقت حتى
الآن ، قد جفّت •

المكان لا يثيره شيء ، غير أن جبال الضوء تتحرك في غشاوة قطرات
الماء ، هنا عبر النافذة •

إن المطر ليغلب ، هذه الجهات ، في الصباح .

٤ -

شربت كثيراً في الليل . ياللموت .

لماذا هي كثيفة ، وسريعة ، نقرات عصافير الدوري ؟ هل بسبب

الفجر ؟

رأيت جذع الآلة . المظلة كما تنفتح فوقي .

أخيراً تحدث الوقائع ، والانسان أصبح لا يخاف شيئاً .

عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين كنا نقفز فوق جبل « تاتر » .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٥ -

لماذا لا تأتين ؟ إن عندي خبراً لك .

٦ -

صباحاً في التاسعة ، أصعب ما يكون ، انتظار الظهيرة .

لا أحب التذكر .

الأفضل أن أقطع شجرة . إن هذا ، مع ذلك ، لشيء ما .

٧ -

التحقت مؤخراً بمدينة مظلمة ، دائماً في المساء فقط كنت أجوب

الشوارع •

كيف وجدتي •

الغابة لم تقدم مساعدة ، دار ، تفتت كل شيء •

فقط درب الطائرات كان جيلاً أن يلاحظ فوق المدينة •

هاهو الصباح من جديد •

أنا كل يوم هنا - ضحكتم • لم أتبه متى هم قطارك بالرحيل •



٨ -

ادخلي من الباب • الريح تهب •

٩ -

« ييرتا » ماتت منذ زمن • الجميع تقريباً قد ماتوا • وحده

« بالينت » يزورنا أحياناً

تخبأت القتيات الجيلات في المدن ، النبيذ أيضاً أدركه السكون •

فقط الشبابيك المكسورة تضيء حيناً •

- ١٠

لا يهم أين يوجد الانسان ، لكن لو يوجد إله ، لكان ما يفعله
حسناً ، إن يبقينا أطفالاً •

أنا ... كنت طفلاً حيداً ، ساهماً •

أتذكر الأعياد فقط •

والمحلات الشعبية ، حيث كان الدفء دائماً ، حيث الأضواء
تشتعل ، الروائح تفوح •

ARCHIVE

- ١١

كنت أعرف أن الطلقة أصابت الضابط عند منحدر أنفه ، الى الأعلى
قليلاً • أحسست بذلك •

لو أن القبة تقف على رأسه بانتظام لكانت الرصاصة تدخل من
فمه • تماماً من الأسفل باتجاه الأعلى •

ما حدث كان هو الأكثر شرفاً •

تالت وقائع كاملة • ما تبقى أنجزه « بالينت » وأصحابه •

- ١٢

ما قبل الظهيرة كذلك يمضي : إني كنت أجعل الضفادع تقفز في

البحيرة ، كل يوم قبل الظهيرة، بدورها الواحدة تلو الاخرى على ضفة البحيرة المستقيمة الطويلة . لقد تعودت الضفادع ، دائماً الثانية فقط تقفز .

لكن العجوز في منتصف البحيرة وتاجها على رأسها تنظر هازئة بلا حراك .

على إحدى الضفاف المشمسة ساجد « بيرتا » بكل تأكيد . كم أحبت ذلك « النش » على جها .

بعيون مطبقة نستلقي الى جانب بعضنا ، الى أن تفرقنا فضة السماء المتوهجة بتأنٍ ، وبعدئذ تفرقنا الظلمة .

عند الظهيرة ننتيقظ . مزاجنا في آن نستدير مواجهين لبعضنا ليس دائماً . حسن أن تكون السماء للساعة ما زالت في مكانها ، نفسها ، هادئة دافئة . على هذه الجهة أصبحت تنهد عن الصخور باتجاه السهل كتل الحجارة .

ذات مرة أبتاع هنا بيتاً . كالحكايات كل ماهو إنساني .

الغذاء دائماً طيب النكهة . جدة « بيرتا » تطهو بشكل مدهش . انها عجوز صافية . بعد الغداء أنتظر الى أن تغفو ويدها مشبكتان أمام الجدار الأبيض للبيت المشمس المطل على الشارع . في حديثه يكون الورد الجوري في تشرين الأول قانياً .

الهدوء ثانية .

١٣ -

يمكنني أن أتناول لأجلها ، أخذها الى يدي وأحصيها تلك
النجوم . هذا أيضاً شيء ما .

١٤ -

كل صباح : الأشجار المنسحبة .
إنها لا تنقص على الإطلاق . لا . في حوالي الظهر ، دائماً تكون
منتصبه . فقط عند الصباح أكون في دوخة .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

١٥ -

الآن أصبح الأمر أسهل . العام السابع كان هو الأكثر سوءاً .
أردت أن أرى الجميع مرة ثانية .

لفترة طويلة من الزمن أهمني النساء . لم أكن لأصدق عيني
عندما تنبّهت الى أن كل واحدة منهن يمكن جعلها تتعري ، إما لي وإما لسواي .
أعتقد أنني حتى ذلك الوقت لم أرهن ، ثيابهن ولا بأية حال ، ألوانهن على
الأكثر ، حتى وجوههن فأنني لا أتذكرها .

لماذا تنظرين الى الفجر قبل فتوحه ؟

الحب عند العصر فقط ، يشد تفكيري .

أصبحت الآن ، كل شيء غالباً ما يستطيع أن يستبدل الحب في داخلي ، الدفء الموسيقي ، القهوة السوداء المركزة جيداً •

راقبت طويلاً البيوت المكعبة الشكل ، الفتيات الجديديات ، الطائرات اذا ما حطت منخفضة فوق المدن ، وخطرت على بالي بعض الأحيان الاعوام الماضية أيضاً •

- ١٦ -

حسناً ، ذهبت

إنك هنا ، رغم ذلك ، في الوقت المناسب •

هل تذكرين تشيع الجنازة في «ناترا» المليء بالوحل والثلج ؟ بعد ذلك كنت ترقصين أيضاً ، وتردين ، من فوق أكثاف الآخرين ، الضحكة لي • هل تذكرين العصر في المدينة التي احتلناها في الليل : بكل طمأنينة تمكنا من النوم في السرير النحاسي الناعم •

دخان السجائر المعقود في النافذة الفارغة أعلن الحرب فقط

دائماً تكونين ناشطة ، متجددة في المعاناة ، ناشطة كأنك الشتاء الجديد ، بثلجه الجديد •

- ١٧ -

أود لو أقول ، ما كان عليك أن تتخذه ، لكن لنفسي فقط •

أنتِ ؟ بكل تأكيد أنتِ تكوينين ، فقط إنني لا أراك .

تتحرك ، بعدئذ تتوقف الأشجار ، عندما تحضرين .

عناق جاف .

مرايض بمدافع آلية مطلقة ، ترابط فوق البيت . بعد فترة أنتبه :

حمام . حالاً سيكون المساء .

وحيد أنا . لم أرك قط .

- ١٨

أعتقد أنني أحبتك . بشكل أكبر فوق الغيوم . هل تتذكرين

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الطيران .

لا تنزلي من الجبال . ظلي مع الآخرين . فللاً تذكره .

ترين كم هو الأمر سهل : الحاضر أيضاً كالذي كان سابقاً .

- ١٩

أحياناً ، عندما أظفر كثيراً الى العشب ، تبدو لي أعمدة الدبابات

المنعطفة في الوادي .

هل تذكرين كيف شاهدنا معركة « كورسكي » أيضاً .

النهاية بذاتها لم تكن من شغلنا نحن .

٢٠ -

كان علينا أن نتحاب

لماذا لم تأتي •

مرة أخرى أحس رطوبة السفر الرزينة ، الكفاءة الطبيعية للانسان

العقلاني تجاه المقرفات •

دافئة هي الصخور • مناسب هو البعد : النجاة الوحيدة •

خسارة أنك متي

صدقي ، محق هو الحكم • لكل إنسان يفتسي إنسان واحد فقط •

المجرة إنسانان • <http://Archivebeta.Sakhril.com>

هنا تقفين وراء ظهري • رغم ذلك أموت وحيدا •

٢١ -

النهار أيضاً يلتجئ •

أتمنى لو أخذتك معي ، صدقيني • لكن كم هطل الثلج •

ممتع • إنني ثمل أيضاً • متمتع مع الفتيات الكبيرات ذوات الثغور

الطرية أيضاً ، رغم ذلك انك في ذاكرتي •

- ٢٢

كل ليالي سيئة • لكان النهارات قد امتحت •
على الأقل في الليل ، أجدني حياً •
يجب على البعد أن يكون في دوائر أوسع •
خلف عيوني المطبقة ترف حمائم يضاء في الظلام • عندما تسطع
الشمس على رأسي لفترة من الزمن ، يخيم ظلها الأسود • صعب الاستلقاء بلا
حرك •



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- ٢٣

حلم غريب كفاية • تصلين متأخرة بمعطف أصفر • طويلاً يسقط عليك
الثلج ، وشعرك أسود رغم ذلك ، ولا يلمع الضوء على طرف عينيك •
لا أخطر على بالك ، بينما أنا أكون حولك العشب في كل اتجاه •
ويكون هدوء • إننا نكون أنفسنا • لو تحببيني •

- ٢٤

لا أعرف من أنت

٢٥ -

ترين ، بهذا الشكل يكون مضحكا ، الموت والحب •

٢٦ -

هنا أعيش في القرب من « صولتك » هنا آخر مرة رأيتك عند
العبور ، عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين •

